أعلام الفقهاء والمحدثين

# جلال الدين السيوطي

## إمام المجددين والمجتهدين في عصره

تأليف

الأستاذ الدكتور فاروق عبد المعطي

وكيل كلية الآداب - جامعة المنصورة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

---

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت. لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٣٦٤٣٩٨ - ٨١٥٥٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة المؤلف

إن الحمد للّه تعالى نحمده، ونستعين بـه ونستغفره، ونعـوذ باللّه تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمـالنا من يهـده اللّه تعـالى فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هـادي له، وأشهـد أن لا إله إلا اللّـه وحده لا شريـك له، وأشهـد أن محمداً عبـده ورسولـه ـ صلى اللّه تعالى عليه وآله وسلم ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللّـه حق تقاتـه ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾(١).

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقـوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحـدة وخلق منها زوجاً، وبث منها رجالاً كثيـراً ونساءً، واتقـوا اللّه الـذي تساءلون به والأرحام إن اللّه كان عليكم رقيباً﴾(٢).

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللّه وقـولوا قـولاً سديـداً يصلح لكم أعمـالكم ويغفر لكم ذنـوبكم ومن يطع اللّـه ورسولـه فقد فـاز فوزاً عظيماً﴾(٣).

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.
(٢) سورة النساء، آية: ١.
(٣) سورة الأحزاب، آية: ٧٠، ٧١.

فإن أصدق الحديث كتاب اللّه تعالى، وأحسن الهدى هدى محمد - صلى اللّه عليه وسلم - وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد...

فهذا كتاب في حياة الإمام الحافظ العلّامة جلال الدين أبي الفضل السيوطي رحمه اللّه تعالى وطيّب ثراه.

أسأل اللّه العظيم أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه أجمعين،

وكتبه،

**الأستاذ الدكتور - فارق محمود عبد المعطي**

**جمهورية مصر - محافظة المنيا - سملوط**

**شارع الكرنك - بجوار مسجد الشريف.**

# الإمام الحافظ
# جلال الدين السيوطي
# (٨٤٩ - ٩١١ هـ)

### ١ - نسبه وبيئته:

هو أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق بن همام الخضيري الأسيوطي الشافعي. ويلقب بجلال الدين، ويكنى بأبي الفضل، وكنّاه بهذه الكنية شيخه العز الكناني الحنبلي حين عرض عليه محافيظه، فقال له: ما كنيتك؟ فقال: لا كنية لي. فقال: أبو الفضل، وكتب له هذه الكنية بخطه[١].

ولقد ذكر الإمام السيوطي ترجمته بنفسه في كتاب «حسن المحاضرة» اقتداء بالمحدثين من قبله. فقال رحمه اللّه تعالى: قلَّ أن ألف أحد من المحدثين تاريخاً إلا ذكر ترجمته فيه، وممن وقع له ذلك الإمام عبد الغافر الفارسي في «تاريخ نيسابور». وياقوت الحموي في «معجم الأدباء»، ولسان الدين بن الخطيب في «تاريخ غرناطة» وغير هؤلاء من أصحاب كتب التاريخ[٢].

وقال الإمام السيوطي: أما جدي الأعلى همام الدين: فكان من

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد ٨/٥١.

(٢) كتاب حسن المحاضرة للسيوطي.

أهل الحقيقة ومن مشايخ الطرق، ومن دونه كانوا من أهل الوجاهة والرياسة، منهم من ولي الحكم ببلده ومنهم من ولي الحسبة بها، ومنهم من كان تاجراً في صحبة الأمير شيخون، وبنى مدرسة بأسيوط، ووقف عليها أوقافاً، ومنهم من كان متمولاً، ولا أعلم منهم من خدم العلم حق خدمته إلا والدي. وأما نسبتنا بالخضيري فلا أعلم ما تكون إليه هذه النسبة إلا الخضيرية، محلة ببغداد، وقد حدثني من أثق به أنه سمع والدي رحمه اللّه يذكر أن جده الأعلى كان أعجمياً، أو من الشرق؛ فالظاهر أن النسبة إلى المحلة المذكورة.

وأجداد السيوطي أهل علم ورئاسة ووجاهة، وأبوه من فقهاء الشافعية توفي سنة (٨٥٥ هـ)، وكان ابنه الجلال ابن خمس سنوات، وسبعة أشهر، وكان قد وصل في حفظ القرآن إلى سورة التحريم.

ونسبته إلى أسيوط جاءت من قبل والده الذي ولد بأسيوط بعد الثمانمائة تقريباً ونشأ واشتغل وتولى القضاء بها قبل قدومه إلى القاهرة(١).

وتحدث المقريزي عن أسيوط فقال: أسيوط بلد طيب؛ فلما صورت الدنيا لأمير المؤمنين هارون بن محمد الرشيد لم يستحسن إلا كورة أسيوط من صعيد مصر، فإنها ثلاثون ألف فدان في استواء من الأرض، لو وقعت فيها قطرة ماء لانتشرت في جميعها.

وفي دائرة المعارف الإسلامية أنها أكبر مدن الصعيد وأهمها من الناحية التجارية، وبفضل وقوعها في أصون بقاع وادي النيل حمى

---

(١) درة الحجال في أسماء الرجال ١/٢٢٣.

وأكثرها خصوبة، وبفضل كونها أيضاً المنتهى الطبيعي لطرق صحراوية كبرى كانت هامة منذ القدم، كما كانت قصبة تعرف باسمها، وظلت في العهد الإسلامي أهم مدن الكورة التي تقع فيها[1].

و «أسيوط» بفتح أوله وسكون ثانيه وضم ثالثه، ويقال لها: «سيوط» بغير همزة، كما جاء في معجم ياقوت، وذكر ابن الطيب في حاشيته على القاموس: تثليث أولهما. وكما نعرف أنها الآن محافظة كبيرة من محافظة الوجه القبلي بمصرنا الحبيب[2].

## ٢ ـ والد السيوطي:

تحدث الإمام جلال الدين السيوطي رحمه اللّه عن والده في كتاب حسن المحاضرة فقال كما ذكرت: والدي الإمام العلامة كمال الدين أبو المناقب أبو بكر... ولد رحمه اللّه بسيوط بعد ثمانمائة تقريباً. وكان والده رحمه اللّه مشتغلاً بالعلم في بلده وتولى بها القضاء. ثم انتقل إلى القاهرة سنة (٨٢٥ هـ) ولازم العالم العلاّمة القاياتي[3] وذلك بالقاهرة، وأجازه بالتدريس سنة تسع وعشرين وثمانمائية.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية.
(٢) معجم الأدباء لياقوت، وحاشية ابن الطيب على القاموس.
(٣) القاياتي هو: محمد بن علي بن يعقوب قاضي القضاة شمس الدين الشافعي، وهو من العلماء الأجلاء، كان بارعاً في الفقه والأصول والكلام والنحو و الإعراب والمنطق.

وأخذ والد السيوطي رحمه اللّه عن الشيخ باكير، وابن حجر[1] العسقلاني.

كما أخذ عن غير هؤلاء من أئمة العصر حتى أتقن علوماً كثيرة، وبرع في فن الانشاء وأفتى ودرس، وناب في الحكم بالقاهرة، وولي التدريس لمادة الفقه بالجامع الشيخوني، والخطبة بالجامع الطولوني. ويتحدث السيوطى عن أخلاق والده فيصفه بأنه كان على جانب كبير من الدين والتحري في الأحكام وعزة النفس والصيانة، يغلب عليه حب الانفراد، مواظباً على قراءة القرآن، يختم كل جمعة ختمة.

ولوالد السيوطي مؤلفات عديدة منها:

حاشية على شرح الألفية لابن المصنف في مجلدين.

كتاب في القراءات.

رسائل في النحو والصرف والتوقيع.

وقد توفي والد السيوطي رحمهما اللّه في سنة خمس وخمسين وثمانمائة في صفر، وتقدم للصلاة عليه قاضي القضاة شرف الدين المناوي، ودفن بالقرافة قريباً من الشمس الأصفهاني.

## ٣ ـ مولد السيوطي:

ولد الإمام جلال الدين السيوطي في مساء الأحد ـ بعد المغرب ـ

---

(١) ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد العسقلاني ثم المصري، ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، وتوفي سنة ٢ هـ ٨. له ترجمة في: ذيل تذكرة الحفاظ للسيوطي، وطبقات الحفاظ ص ٥٢٢.

مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة، وابن إياس يذكر أن ولادت
رحمه اللّه في جمادي الآخرة، وليس هناك فرق كبير بين التاريخين
وحمل بعد ولادته الى الشيخ محمد[1] المجذوب وهو من كبار الأوليا
بجوار المشهد النفيسي فبرك عليه ودعا له.

ويذكر ابن إياس أن هذه السنة التي ولد فيها السيوطي وقع طاعو
بالديار المصرية ومات فيه من الناس ما لا يحصى عددهم.

ومما يجب أن نشير اليه أن ابن أياس كان معاصراً للسيوطي، فق
ولد بعد السيوطي بأربع سنوات، ولذلك سجل العصر الذي عاشا في
معاً تسجيلاً دقيقاً.

## ٤ ـ رحلات السيوطي العلمية:

نشأ الإمام جلال الدين السيوطي رحمه اللّه في بيت زهد وعل
وورع وتقوى، وقد تفتحت عيناه وجد والده يختم القرآن كل أسبوع
ونظر فإذا بكتب العلم يراها أمامه في كل ركن من أركان البيت
والبيت هو المدرسة الأولى الذي يخرج منه الخريجين، ولذلك كانت
ولادته بين كتب الفقه والتفسير ومختلف الأنواع من كتب العلم التي
شرب منها منذ طفولته.

قال العيدروسي احتاج والده كتاب من كتب العلم فذهبت والدت
لتحضر الكتاب من بيت الكتب فجاءها المخاض بين كتب العل

(١) قال ابن اياس: توفي سنة ٨٥٩ هـ، وقال عنه: توفي في جمادي الآخر
رحمه اللّه، ولما مات أخذه السلطان اينال ودفنه بجوار تربته تبركاً فيه. (انظ
بدائع الزهور ص ٢٥٦).

فوضعته ولذلك أطلق عليه: ابن الكتب[1].

وكان والده رحمه اللّه قد تولى مهمة تحفيظه القرآن الكريم حتى وصل الى حفظ سورة التحريم توفاه اللّه ولم يكن السيوطي قد أكمل السادسة، فتولى أمره بعد وفاة والدته الشيخ كمال الدين[2] بن الهمام، ولم تكمل سنه الثامنه حتى كان قد أتم حفظ القرآن الكريم.

وتفقه على سراج الدين بن عبد الحميد في الفقه الحنفي وكان السيوطي قد بلغ احدى عشرة سنة.

ولكن رحلة السيوطي العلمية استمرت، واستطاع في باكورة حياته ان يحفظ بعض متون العلم مثل كتاب التنبيه، وهو كتاب في فروع الشافعية للشيخ أبي اسحاق ابراهيم بن علي الشيرازي المتوفى سنة ست وسبعين وأربعمائة، وهو أحد الكتب الخمسة المتداولة بين الشافعية، بل هو أكثرها تداولاً كما صرح به النووي في تهذيبه، وكان الشيرازي قد بدأ في تصنيفه سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة. ولهذا الكتاب شروح كثيرة، وقد شرحه السيوطي بعد في كتاب سماه الوافي، لكنه لم يكمله، كما أن له مختصراً عليه.

وكتاب الحاوي، وهو كتاب في الفروع الشافعية، ومؤلفه الشيخ نجم الدين[3] القزويني، وهو من الكتب المعتبرة بين الشافعية.

---

(١) النور السافر من أخبار القرن العاشر، ص ٥٤، لمؤلفه محي الدين عبد القادر العيدروس.

(٢) كمال الدين بن الهمام. وهو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيراشي، ولد سنة ٧٩٠ هـ، وتوفي سنة احدى وستين وثمانمائة بعد وفاة والد السيوطي بست سنوات تقريباً.

(٣) الشيخ نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني المتوفى سنة خمس وستين وستمائة.

وكتاب التهذيب وهو كتاب في تهذيب الفروع للامام حسين[1] البغوي.

وكتاب الروضة في الفروع وهو روضة الطالبين وعمدة المتقين للامام النووي[2].

وسافر السيوطي في رحلاته الى عدة بلاد ليلتقي فيها بعلمائها الكبار. رحل في داخل الديار المصرية، فسافر إلى الفيوم ودمياط والمحلة ونحوها، وكتب عن جماعة منهم. وقد ذكر الدكتور مصطفى الشكعة أنه قرأ على جعفر بن ابراهيم في سنهور، وعلى عز الدين عبد العزيز بن عبد الواحد التكروي الشافعي في منية سمنود.

وسافر إلى الشام واليمن والهند والمغرب والتكرور، ورحل إلى الحجاز حين حج وجاور سنة كاملة[3].

وقد سافر إلى حلب وأجاز له جماعة منهم ابن مقبل. والتقى بالرضى محمد بن حسين من علماء مكة الأجلاء ولد بها سنة سبع وثمانمائة ونشأ بها وحفظ القرآن وتلقى على شيوخ عصره وتوفي سنة سبع وسبعين وثمانمائة[4].

(١) الامام محي السنة حسين بن مسعود البغوي الشافعي المتوفى سنة ست عشرة وخمسمائة.
(٢) النووي الإمام الفقيه الحافظ الأوحد القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحوراني الشافعي، ولد في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة، ومات في رابع عشري رجب سنة ست وسبعين وستمائة. (البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٢٧٨، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٤/ ١٤٧٠، والدارس في أخبار المدارس للنعيمي ١/ ٢٤).
(٣) جلال الدي السيوطي ـ محمد عبد المنعم خاطر، ص ٢٠.
(٤) الضوء اللامع ٩/ ٢١٤.

والتقى بأخيه ولي الدين محمد بن ظهيرة الشافعي الذي ولد بمكة سنة ثلاث عشرة وثمانمائة وتلقى على شيوخ عصره وتوفي سنة تسعين وثمانمائة[1]

والتقى بصالحة بنت علي بن الملقن وكانت محدثة ذات دين وصلاح، ولدت سنة خمس وتسعين وسبعمائة وسمع منها كثير من الفضلاء ومنهم السخاوي[2] معاصر السيوطي وتوفيت سنة ست وسبعين وثمانمائة[3].

والتقى بأم هانىء بنت الحسن الهرويني وبكمالية بنت محمد بن محمد الهاشمية المكية.

والتقى بالحافظ تقي الدين بن فهد الذي ولد بمصر في أصفون الجبل من أعمال اسنا ثم انتقل إلى مكة سنة خمس وتسعين وسبعمائة وأقام بها ومن شيوخه ابن حجر وتوفي سنة احدى وسبعين وثمانمائة ودفن بالمعلاة[4].

والتقى بأخيه ولي الدين أبي الفتح طية بن فهد، ولد بمكة سنة أربع وثمانمائة ونشأ بها وعرض على جماعة كثيرة وتوفي بمكة سنة أربع وسبعين وثمانمائة[5] وذكر الدكتور مصطفى الشكعة أنه قرأ في مكة على الحافظ محمد بن محمد الهاشمي العلوي.

---

(١) أعلام النساء، ٢/٧٠٩.
(٢) السخاوي هو: الإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي. المتوفى سنة ٩٠٢ هـ.
(٣) أعلام النساء، ٢/٧٠٩.
(٤) الضوء اللامع، ٩/١٤٧.
(٥) الضوء اللامع، ٥/١٤٨.

ونراه يحدث عن بعض هؤلاء في أثناء رحلته للحجاز قائلاً: عن أحمد بن اسماعيل بن أبي بكر بن عمر الأبشيطي: هو العلامة الصالح الزاهد الولي الكبير والامام الشهير، رجل يستسقى به الغيث ويهابه لفرط صلاحه الليث، معرض عن الدنيا حال بالمرتبة العليا، بعيد عن الخلق قريب من الحق، مواظب على الصلاة والصيام قائم في خدمة مولاه والناس نيام، هذا مع تفنن وعلوم كثيرة وتصانيف ما بين منظومة ومنثورة، وازدان به هذا الزمان وانتفع بإقرائه الإنس والجن، اتخذ طيبة المشرفة داراً، وفاز بجوار سيد المرسلين وما أكرمه جاراً، إلى أن توفي سنة ثمان وثمانين وثمانمائة بالمدينة.

وبمناسبة رحلة السيوطي إلى هذه البلاد نقول: كانت شهرة السيوطي قد سبقته إلى هذه البلاد، وقد كتب الشيخ شمس الدين اللمتوني أحد علماء التكرور من بلاده رسالة تحتوي على بعض مشكلات فقهية مختلفة يطلب الرأي فيها، وقد أجاب عنها السيوطي في رسالة أسماها: فتح المطلب المبرور وبرد الكبد المحرور في الجواب عن الأسئلة الواردة من التكرور.

وهي رسالة طويلة تدل على مدى باع السيوطي في العلم ـ على حد تعبير الدكتور حسنين محمد ربيع في بحثه عن السيوطي، الذي ألقاه في الندوة التي أقامها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية عام ١٩٧٦ م.

ومن هذه الرسالة نعرف شيئاً عن النظم الاقتصادية والاجتماعية في بلاد غرب السودان في العصور الوسطى.

وفي كتاب الحاوي للفتاوى الذي ألفه السيوطي وحققه العلامة

الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد نص لهذه الرسالة.

وهناك رسالة أخرى للسيوطي إلى ملوك التكرور ينصحهم فيها ويردهم إلى حكم اللّه ويذكرهم قوله تعالى، وهي مخطوطة بدار الكتب، وقد أشار اليها الدكتور مصطفى الشكعة في بحثه عن السيوطي في هذه الندوة، وأوردها كشاهد على نضارة أسلوب السيوطي وفكره. وفيها يقول:

بسم اللّه الرحمن الرحيم، وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. ﴿يا أيها الذين آمنوا اتّقوا اللّه وقولوا قولاً سديداً. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع اللّه ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾[1].

من الفقير عبد الرحمن السيوطي إلى الملك والسلاطين ببلاد التكرور عموماً، وإلى الملك الزاهد محمد بن صعفن صاحب أكور وأخيه محمد وعمرو وإلى الملك صاحب كاسنة خصوصاً.

سلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته. أما بعد، فإني اليكم أحمد اللّه الذي لا إله إلا هو، وأصلي وأسلم على نبيه محمد صلى اللّه عليه وسلم.

ثم أوصيكم بتقوى اللّه فإنها رأس الأمر وسنامه، وقد فاز وأفلح من به اعتصامه، واحتكم على العدل بين الرعية والوقوف عند الأحكام الشرعية، ولا يغرنّ امرؤ ما أتاه اللّه من الملك والسلطنة، وما خوّله اللّه من زينة الحياة الدنيا كلها سنة منام ولا بد أن يستيقظ من السنة... الخ...

---

(١) الأحزاب، آية: ٧٠.

والرسالة ـ كما يقول الدكتور مصطفى الشكعة ـ تتميز بـالأسلوب النضير والصوغ المتين الذي يجعل من السيوطي في دنيا الكتابة كاتب ذا قدر ونهج وكفاية . . . ولكنها تدل ـ إلى جانب ذلك ـ على ملمح هام من ملامح شخصية السيوطي ، هو ملمح النهوض بمسؤولية العلم التي تفرض عليه توجيه النصح للحاكم وتذكيره بما يجب عليه نحـو رعيته التي ائتمنه اللّه عليها، وهو ما نفتقد في كثير من علمائنـا اليوم بكل أسف.

## ٥ ـ شيوخه :

وشيوخ السيوطي في العلم شيوخ عصرهم الذين سادوا وأفادوا، وقد حكي أنه تلقى العلم على يد مائة وخمسين شيخاً أفرد لهم أكثر من مؤلف ومن بين ذلك حاطب ليل وجارف سيل، ويقال أنهم أكثر من ذلك بكثير فقد ذكر بعضهم بأنهم ستمائة شيخ[١].

ومن هؤلاء الشيوخ :

أخذ الفقه عن : شيخه سراج الـدين البُلقيني ، ولازمه حتى مـات فلازم ولده علم الدين المتوفى سنة (٨٦٨ هـ) فسمع منه من الحاوي الصغير ومن المنهاج ومن التنبيه وشرح المنهاج والروضة .

وأخذ الفرائض عن : شهاب الدين الشار مساحي . ولازم الشرف المناوي أبا زكريا يحيى بن محمد، جد عبد الرؤوف شارح الجامـع الصغير، وتوفي الشرف سنة (٨٧١ هـ) فقرأ عليه شـرح البهجة ومن تفسير البيضاوي .

---

(١) جلال الدين السيوطي محمد عبد المنعم خاطر، ص ١٩ .

ولازم في العربية والحديث تقي الدين الشمني الحنفي المتوفى سنة (٨٧٢ هـ) أربع سنوات.

ثم لازم الشيخ محي الدين محمد بن سليمان الرومي الحنفي أربع عشرة سنة، فأخذ عنه التفسير والأصول العربية والمعاني.

وحضر على سيف الدين الحنفي دروساً من الكشاف والتوضيح وتلخيص المفتاح وشرح العضد.

وأخذ عن الجلال المحلي المتوفى سنة (٨٦٤ هـ).

وأخذ عن العزّ الكناني أحمد بن ابراهيم الحنبلي، ولما عرض عليه محافيظة كناه «بأبي الفضل».

وأخذ عن الزين العقبي المتوفى سنة (٨٥٢ هـ).

وعن البرهان ابراهيم بن عمر البقاعي الشافعي المتوفى سنة (٨٥٥ هـ) وقرأ صحيح مسلم والشفا وألفية ابن مالك والتسهيل والتوضيح، ومغني الخبّازي في أصول الحنفية، وعلى الشمس الشبرامي. وعلى الشمس المرزباني: الكافية وشرحها للمصنف وللجابردي، وألفية العراقي في المصطلح.

وقرأ على الشار مساحي الفرائض والحساب. وأخذ عن المجد بن السباع وعبد العزيز الوفائي الميقات وأخذ الطب عن محمد بن ابراهيم الدوّاني الرومي.

وأجيز بتدريس العربية مستهل سنة (٨٦٦ هـ). وفي تلك السنة ابتدأ تأليفه، وأول ذلك: تأليف في الكلام على الاستعاذة والبسملة من عدة علوم، يسمى «رياض الطالبين» قرظة له شيخه علم الدين البلقيني.

وأجيز بالإفتـاء وتدريس عـامة العلوم سنـة (٨٧٦ هـ) وكان أفتى مستهل سنة (٨٧١ هـ) وعقد إملاء الحديث سنة (٨٧٢ هـ) وقرظ له شيخه تقي الدين الشمني مـا ألفه في شـرح ألفية ابن مـالك وجمـع الجوامع في النحو، الذي شرحه في همع الهوامـع، وهو يـدل على سعة اطلاعه.

ورحـل إلى: الشـام والحجـاز واليمن والهنـد والمغــرب وبـلاد التكرور، وإلى المحلة ودمياط والفيوم من المدن المصرية وذلك كما ذكرنا في رحلات السيوطي العلمية. وحج وشرب ماء زمـزم لأمور: منها أن يصل في الفقه إلى رتبة الشيـخ سراج الـدين البلقيني، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر العسقلاني.

وللسيوطي شيوخ بلغ بهم تلميذه الداودي ممن أجازه أو قرأ عليه أو سمع منه أحداً وخمسين ومائة. وللسيوطي معجم كبير بأسماء شيوخه يسمى «حاطب ليل وجـارف سيل» ومعجم صغيـر يسمى «المنتقى» ومعجم في مروياتـه يسمى «زاد المسيرفي الفهـرست الصغير» ويبلغ عدد شيوخه الذين ذكرهم في معجمه خمسين شيخاً».

## ٦ ـ تلاميذ السيوطي:

وللسيوطي تلاميذ كثيرون لا يكـادون يحصون، منهم من تتلمـذ على يديه ومنهم من تتلمذ على كتبه ـ ومن الـلامعين الذين تتلمـذوا على كتبه الشعراني[1] الذي قال في ذيل طبقاته: ارسل إلي ورقة مع

(١) الشعـراني هو: القـطب الربـاني والهيكل الصمـداني العارف بـالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني. صاحب الطبقات الكبرى.

والدي باجازته لي جميع مروياته ومؤلفاته، ثم لما جئت إلى مصر قبيل موته اجتمعت به مرة وَاحدة فقرأت عليه بعض أحاديث من الكتب الستة وشيئاً من المنهاج في الفقه تبركاً، ثم بعد شهر سمعت ناعيه ينعي موته، فحضرت الصلاة عليه عند الشيخ أحمد الأباريقي بالروضة عقب صلاة الجمعة في سبيل المؤمنين عند الجامع الجديد بمصر العتيقة رضي اللّه عنه.

ومن تلاميذه الذين أجازهم تلميذه نظام الدين جرامورد، وقد قال السيوطي في نهاية ألفية الحديث التي ألفها، وكتبها بخطه وسمعها عليه تلميذه: سمع عليّ هذه الألفية تأليفي كاتبها الفاضل المتقن الصالح نظام الدين جرامورد الحنفي الناصري وأجزت له روايتها وجميع مروياتي ومؤلفاتي، وكتب عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي ـ لطف اللّه به.

ويبدو أن تلميذه هذا كان مواظباً على الحضور عليه وكان يكتب مخطوطاته، فقد كتب بخطه نسخة من الاتقان وكتب له السيوطي إجازة عليها هذا نصها:

الحمد للّه وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد فقد سمع عليّ جميع هذا الكتاب تأليفي صاحبه وكاتبه الفاضل المتقن المشتغل المحصل الضابط نادرة أبناء جنسه جرامورد الناصري المقرىء ـ نفعه اللّه ونفع به وزاده فضلاً وعلماً على ما أتى ـ وقد أجزت له أن يرويه عني وجميع مروياتي ومؤلفاتي. وكتب عبد الرحمن السيوطي في ذي القعدة سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه. ومن تلاميذه الشيخ عبد القادر بن محمد بن أحمد

الشـاذلي المؤذن الشافعي، المتـوفى في حدود سنـة خمس وثلاثين وتسعمائة، وله مؤلفات منها: بهجة العابدين بترجمة الحـافظ جلال الدين، وشفاء المتعال بأدوية السعال وموائد الأفراح في فوائد النكاح وغيرها[1].

ومن تلاميذه محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر العلقمي الراوي المحدث وهو أحد شراح الجامع الصغير للسيوطي، وكان قد أخذ عنه، ولد سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة[2] ولم يذكر ابن القاضي سنة وفاته.

ومن تـلاميـذه علي بن محمـد بن محمـد بن محمـد بن يخلف المتـوفى بلدا المصري مـولداً، ولـد بالقـاهـرة سنـة خمس وسبعين وثمانمائة وأخذ عن السيوطي كما أخذ عن غيره، وله مؤلفات عدة منها شرح الترغيب والترهيب للمنذري، وشرح البخاري بعنـوان: معين القاري، وشرح صحيح مسلم، توفي عام (٨٣٩ هـ)[3].

ومن تـلاميـذه الـداوودي ـ وهـو الحـافظ شمس الـدين محمـد الـداوودي المصري الشـافعي وقيل المـالكي ـ العـلامـة المحـدث الحافظ، كان شيخ أهل الحديث في عصره، أثنى عليه العلماء ولـه جهود في التأليف، وضع ذيلاً على طبقات الشافعية للسبكي، وجمع ترجمة شيخه الحافظ السيوطي في مجلد ضخم، وله ذيـل على لب

(١) هدية العارفين، ١/٥٦٨.
(٢) درة الحجال، ٢/٣١٩.
(٣) درة الحجال، ٣/٢٥٣.

الألباب في الأنساب للسيوطي، وله طبقات المفسرين. توفي سنة خمس وأربعين وتسعمائة[1].

## ٧ ـ مؤلفات السيوطي:

بارك اللّه تعالى للسيوطي في عمره ووقته، فألف في كل فن، وكان في بعض المؤلفات نسيج وحده، كما يظهر ذلك من كتابه «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» ومن «الأشباه والنظائر» النحوية، ومن «همع الهوامع شرح جمع الجوامع» في النحو ومن «جمع الجوامع» أو «الجامع الكبير» في الحديث.

وما وقع في بعض مؤلفاته من شيء يحتاج إلى تحرير. فذلك شأن المكثرين من التأليف من مثل أبي الفرج بن الجوزي وغيره.

وقد كان السيوطي في أول أمره ملخصاً ومختصراً؛ ولعل ذلك كان من الأسباب في اتساع أفقه وإمعانه في كثير من المسائل ثم انتهى أمره الى الاستقلال في التأليف والتجويد والتحرير، ولقد كان رحمه اللّه تعالى بسعة حفظه وتطوافه كما ذكرت عالماً موسوعياً مما جعله ألف الكثير من كل فن وكما ذكر لنفسه أنه ساعة انتهى من حسن المحاضرة ألف ثلاثمائة مصنف وذكر الداودي أنها بلغت خمسمائة وزادت على ذلك. وذكر ابن إياس أنها بلغت ستمائة مؤلف. وذلك بعد تأليفه حسن المحاضرة ـ وإليك بعض من هذه المؤلفات للإمام رحمه اللّه تعالى رحمة واسعة.

---

(١) جلال الدين السيوطي ـ بحث الدكتور عبد الحكيم السيد عتلم، ص ٢٠٦، الهيئة المصرية للكتاب.

١ ـ الإتقان في علوم القرآن، مطبوع
٢ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، مطبوع
٣ ـ أسرار التنزيل «قطف الأزهار».
٤ ـ المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، مطبوع
٥ ـ الإكليل في استنباط التنزيل، مطبوع
٦ ـ الأزهار الفاتحة على الفاتحة
٧ ـ الكلام على أول الفتح
٨ ـ التحبير في علم التفسير
٩ ـ الألفية في القراءات العشر، مطبوع
١٠ ـ القول الفصيح في تعيين الذبيح، مطبوع
١١ ـ اليد البسطى في الصلاة الوسطى
١٢ ـ اسعاف المبطأ برجال الموطأ، مطبوع
١٣ ـ التوشيح على الجامع الصحيح
١٤ ـ الديباج على صحيح الامام مسلم
١٥ ـ التهذيب في الزوائد على التقريب
١٦ ـ اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، مطبوع
١٧ ـ النكت البديعات على الموضوعات
١٨ ـ الذيل على القول المسدد
١٩ ـ القول الحسن في الذب عن السنن
٢٠ ـ المدرج إلى المدرج، مطبوع
٢١ ـ البدور السافرة عن أمور الآخرة
٢٢ ـ الكلم الطيب
٢٣ ـ أذكار الأذكار

٢٤ ـ الطب النبوي، مطبوع
٢٥ ـ المسلسلات الكبرى، مطبوع
٢٦ ـ المسلسلات الجياد
٢٧ ـ أخبار الملائكة
٢٨ ـ الأساس في مناقب بني العباس، مطبوع
٢٩ ـ الأربعون المتباينة، مطبوع
٣٠ ـ الرفق بأصول الرزق، مطبوع
٣١ ـ الأشباه والنظائر، مطبوع
٣٢ ـ الجامع الصغير، مطبوع
٣٣ ـ الأربعون حديثاً في الجهاد، مطبوع
٣٤ ـ ترجمان القرآن في التفسير
٣٥ ـ تكملة تفسير الجلالين، مطبوع
٣٦ ـ توضيح المدرك في تصحيح المستدرك
٣٧ ـ تقريب الغريب
٣٨ ـ تذكرة المؤنس بمن حدث ونسي، مطبوع
٣٩ ـ تحفة النابه بتلخيص المتشابه
٤٠ ـ تناسق الدرر في تناسب السور، مطبوع
٤١ ـ تاريخ الخلفاء، مطبوع
٤٢ ـ تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، مطبوع
٤٣ ـ جزء في المدلسين، مطبوع
٤٤ ـ جمع الجوامع، مطبوع
٤٥ ـ حاشية على تفسير البيضاوي
٤٦ ـ حلية الأولياء

٤٧ ـ خمائل الزهر في فضائل السور، مطبوع
٤٨ ـ خصائص الجمعة
٤٩ ـ شرح الاستعاذة والبسملة
٥٠ ـ شرح الشاطبية، مطبوع
٥١ ـ شرح ابن ماجة
٥٢ ـ شرح ألفية العراقي
٥٣ ـ شرح كافية ابن مالك
٥٤ ـ طبقات الحفاظ، مطبوع بذيل طبقات الذهبي
٥٥ ـ طبقات المفسرين، مطبوع
٥٦ ـ طبقات النحاة، مطبوع
٥٧ ـ عين الإصابة في معرفة الصحابة
٥٨ ـ فتح الجليل للعبد الذليل
٥٩ ـ فضل موت الأولاد، مطبوع
٦٠ ـ كشف التلبيس عن أقلب أهل التدليس
٦١ ـ لباب النقول في أسباب النزول، مطبوع
٦٢ ـ لب اللباب في تحرير الأنساب
٦٣ ـ مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، مطبوع
٦٤ ـ مجمع البحرين ومطلع البدرين
٦٥ ـ معترك الأقران في متشابه القرآن
٦٦ ـ مرقاة الصعود الى سنن أبي داود
٦٧ ـ منهاج السنة ومفتاح السنة
٦٨ ـ مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة، مطبوع
٦٩ ـ كشف المغطأ في رجال الموطأ

٧٠ ـ همع الهوامع، مطبوع

وهناك مصنفات أخرى نكتفي بهذا القدر ومن أراد الزيادة على ذلك فعليه أن يرجع إلى ترجمته في كل من هذه الكتب:

١ ـ حسن المحاضرة للسيوطي.

٢ ـ الضوء اللامع للسخاوي ٤/ ٦٥.

٣ ـ الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة لنجم الدين الغزي (١/ ٢٢٨).

٤ ـ النور السافر للعيدروس (ص ٥١).

٥ ـ الإعلام للزركلي (٣/ ٣٠١، ٣٠٢).

٦ ـ شذرات الذهب لابن العماد (٨/ ٥٣).

٧ ـ البدر الطالع للشوكاني (١/ ٣٢٨).

## ٨ ـ أسباب تأليف كتاب الإتقان في علوم القرآن:

كتاب الإتقان في علوم القرآن، هو الحلقة الذهبية في سلسلة كتب الدراسات القرآنية، أحسنُها تصنيفاً وتأليفاً، وأكثرها استيعاباً وشمولاً؛ جمع فيه من أشتات الفوائد، ومنثور المسائل ما لم يجتمع في كتاب.

ولم تكن هذه الدراسات قد اتخذت وضعاً مستقلًّا في العصور الإسلامية الأولى؛ وإنما وردت متفرقة في روايات المحدّثين وأقوال العلماء، ومُقدمات كتب المفسرين، كالطبري والزمخشري والحوفي، وابن عطية والقرطبيّ. وجاء قدرٌ منها في كتب البلاغة والنّقد؛ كدلائل الإعجاز وأسرار البلاغة والصناعتين ونقد النثر ومفتاح

العلوم؛ ومثلها في كتب الجدل والمناظرات، كالانتصار للباقلاني والمغني للقاضي عبد الجبار، ومثلها أيضاً في كتب القراءات والرسم والأحكام؛ مما ذكره الكواشي والكيا الهراسي والجعبري والنّووي وابن الجزري في كتبهم التي صنّفوها.

وأول كتاب صُنّف مستقلا في هذا الفن، كتاب البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد اللّه بن بهادر الزركشي، أحد فقهاء الشافعية في القرن الثامن؛ جمع فيه عُصارة أقوال المتقدمين، وصفوة آراء العلماء المحققين؛ وجعله في سبعة وأربعين باباً، في أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وأنواع القراءات وصنوف الرسم ودلائل الإعجاز، وغيرها. وظل هذا الكتاب بعيداً عن أنظار العلماء حتى المتقدمين منهم زماناً، ثم جاء الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن عمر بن رسلان العسقلانيّ أحد علماء الحديث بمصر، والمتوفى بها سنة ٨٢٤، فوضع كتاباً أسماه «مواقع العلوم من مواقع النجوم» أداره على فصول محدُودة في أسباب النزول، ورجال السند وطرق الأداء والألفاظ المتعلقة بها، ثم المعاني المتعلقة بالأحكام. ثم قام الإمام محيي الدين الكافيجيّ، فدوّن كتاباً لطيفاً في هذا الشأن، ذكر فيه جملاً من التفسير والتأويل وطرفاً من آداب العالم والمتعلم؛ وهذان الكتابان رآهما السيوطي وقال: «إنّ ما ورد فيهما لم يشف غليلاً، ولم يهد إلى المقصود سبيلاً».

ثمّ جاء الجلال السيوطي وأحسّ أن هناك أنواعاً في هذا الفن لم يتسنَّ لأحد من العلماء الكلام عليها، ومهمّات وفوائد لم يقصد أحد اليها، فجرّد الهمة لتأليف كتاب استوفى فيه الأبواب والفُصول، وذيَّل كل كتاب بما شاء من المسائل والفروع، وأسماه كتاب «التحبير في

علوم التفسير»، أداره على أكثر من مائة باب.

ثم بدا له من بعد تأليفه أن يأخذ هذا الكتاب بالتنقيح والتهذيب، فيدمج بعض الأبواب في بعض، ويضيف اليه ما عنّ له منها، ويوشيه بما وقع له بعد ذلك من متشعّب الأغراض ومختلف المعارف، وينزهه عن اللبس والغموض، ويَنأى بـه عن الإبهام والتعقيد؛ فكان هـذا الكتاب الذي أسماه: «الإتقان في علوم القرآن» وجعله مقدّمة لكتابه في التفسير الذي أسماه «مجمع البحرين ومطلع البدرين» وجعله في ثمانين باباً، ذكر أنها على سبيل الإدماج، ولو نُوِّعت باعتبار ما أدْمجه في ضمنها لأوفى عددها على الثلاثمائة.

وقد ذكر في مقدمة الكتاب مئات الكتب التي استمدّ منها مادّة كتابه؛ وعلى حسب منهاجه في كثير من كتبه؛ كما فعل ذلك في مقدمة حسن المحاضرة ومقدمة بغية الوعاء ومقدمة الجامع الصغير، وتؤلف مراجع الإتقان دائرة من المعارف الإسلامية في التفسير والحديث والفقه واللغة والرسم والأحكام والتاريخ.

بدأ الكتاب بالكلام على المدنيّ والمكيّ، ثم الكلام على الحضريّ والسفري، ثم النهاريّ والليليّ، والنّاسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، وأنواع القراءات وآداب حمل القرآن وحفظه، وهكذا مضى في الأبواب إلى أن ختمها بالنوع الثمانين في طبقات المفسّرين.

وطريقته في التصنيف؛ أن يذكر عنوان الموضوع؛ ويذكر أشهر من ألف فيه، ثم يشفعه بفائدة معرفته، وأهميّته في تفهم القرآن وتفسير معانيه، ثم يذكر مسائله؛ وما عساه أن يكون لها من فروع وذيول؛ مستشهداً في كل ذلك بالقرآن أو الحديث أو أقوال العلماء، وينقل

نصوصاً من الكتب التي ألفت فيه؛ فصولاً كاملة أو مختصراً منها؛ وكثيراً ما يذيل هذه الأبواب برأيه بعد أن يورد كلمة: «قلت»؛ فهو مثلاً يقول في النوع التاسع في معرفة أسباب النزول. أفرده بالتصنيف جماعة، أقدمهم عليّ بن المدينيّ شيخ البخاريّ، ومن أشهرها كتاب الواحدي على ما فيه من إعواز، وقد اختصره الجعبريّ، فحذف أسانيده، ولم يزد عليه شيئاً، وألف فيه شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر كتاباً مات عنه مسوّدة، لم نقف عليه كاملاً؛ وقد ألّف فيه كتاباً حافلاً موجزاً محرّراً، لم يؤلف مثله في هذا النوع، سمّاه صاحبه: «لباب النقول في أسباب النزول».

ثم يقول: قال الجعبريّ: نزل القرآن على قسمين: قسم نزل ابتداء، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال. ثم يمضي في ذكر فائدة هذا الباب؛ ويردّ على من زعم أنه لا طائل تحته لجريانه مجرى التاريخ، ثم يذكر طائفة من أسباب النزول ويذكر الآيات، وأقوال العلماء والمفسّرين، وينهي الباب بقوله: «تأمل ما ذكرته لك في هذه المسألة، واشدد به يديك، فإني حرّرته واستخرجته بفكري من استقراء صنيع الأئمة ومتفرّقات كلامهم، ولم أسبق اليه». وعلى هذا النسق وما يشبهه يمضي في أبواب الكتاب. ومن خير ما امتاز به كتاب الإتقان، أنه أورد فيه كثيراً من نصوص الكتب التي لم تقع لنا، من كتب الجعبري والباقلاني والكيا الهراسي والزّملكاني وابن الأنباريّ وغيرهم بعد أن نثرها متفرقة في الفصول والأبواب.

ويؤخذ على السيوطي أنه أورد في الكتاب كثيراً من الروايات الضعيفة والأحاديث التي لم تثبت صحتها عند المحدثين؛ ولكنه

أوردها بإسنادها، وإن كان في ذكر السند ما يميز الصحيح من الضعيف عند العلماء.

وفي الجملة فإن كتاب الإتقان بما حواه من معارف وفنون، وما جمع فيه من أخبار وأقوال ـ يعدّ بحقّ من أكرم الذخائر وأنفس الأعلاق.

وقد كان هذا الكتاب من أوائل الكتب التي طبعت في القرن الماضي؛ طبع في كلكتا سنة ١٢٧١، وطبع بمصر سنة ١٢٧٨، وبالمطبعة الكاستليّة سنة ١٢٧٩، وبمطبعة عثمان عبد الرزاق سنة ١٣٠٦، وبالمطبعة الميمنية سنة ١٣١٧، وبالمطبعة الأزهرية سنة ١٣١٨... ثم توالت طبعاته.

وقد عني بتحقيق هذا الكتاب الشيخ محمد أبو الفضل ابراهيم جزاه اللّه عن الإسلام خيراً، وذلك في ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٨٧ هجرية[1].

## ٩ ـ منهج الإتقان في علوم القرآن:

يقول سيدنا وشيخنا الإمام العلامة البحر الفهامة، الرُّحلة جلال الدين، نجل سيدنا الإمام العالم العلامة كمال الدين السيوطي الشافعيّ، فسّح اللّه في مدّته[2].

---

(١) انظر مقدمة الاتقان في علوم القرآن بتحقيق الشيخ محمد أبو الفضل ابراهيم لصاحبه الإمام جلال الدين السيوطي، طبعة دار التراث.

(٢) كذا في الأصل، وفي ط: «قال الشيخ الإمام العالم العلامة، الحبر البحر الفهامة، المحقق المدقق الحجة الحافظ المجتهد شيخ الإسلام =

الحمدُ للّهِ الذي أنزل على عبده الكتاب، تبصرةً لأولي الألباب، وأودعه من فنون العلوم والحِكَم العجَب العُجاب، وجعله أجلَّ الكتب قدراً، وأغزرها علماً، وأعذبها نظماً وأبلغها في الخطاب، قرآناً عربيًّا غير ذي عِوَجٍ، ولا مخلوقٍ، لا شبهة[1] فيه ولا ارتياب.

وأشهد أنّ سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث من أكرم الشعوب وأشرف الشِّعاب، إلى خير أمّة بأفضل كتاب، صلى اللّه وسلم عليه وعلى آله وصحبه الأنجاب، صلاة وسلاماً دائمَيْن إلى يومْ المآب.

وبعد، فإنّ العلم بحر زخّار، لا يدرك له من قرار، وطودٌ شامخ لا يُسلك إلى قُنّته ولا يُصار، مَنْ أراد السبيل الى استقصائه لم يبلغ إلى ذلك وصولاً، ومَنْ رام الوصول إلى إحصائه لم يجدْ إلى ذلك سبيلاً، كيف وقد قال اللّه تعالى مخاطباً لخلقِه: ﴿وَمَا أوتيتُم مِنَ العِلمِ إلاّ قليلاً﴾[2] وإنّ كتابنا القرآن لهو مفجرَ العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودعَ فيه سبحانه تعالى علمِ كلّ شيء، وأبان فيه كلّ هدْيٍ وغيّ، فترى كلّ ذي فن منه يستمدّ وعليه يعتمد، فالفقيه يستنبط منه الأحكام، ويستخرج حكم الحلال والحرام، والنحويّ يبنِي منه قواعد إعرابه، ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه، والبيانيّ يهتدي به إلى حسن النظام، ويعتبر مسالك البلاغة في صوْغ الكلام.

= والمسلمين، وارث علوم سيد المرسلين، جلال الدين، أوحد المجتهدين، أبو الفضل عبد الرحمن بن سيدنا الشيخ المرحوم كمال الدين، عالم المسلمين، أبو المناقب أبو بكر السيوطي الشافعي.

(١) ط: «ولا شبهة».

(٢) سورة الإسراء، ٨٥.

وفيه من القصص والأخبار ما يذكّر إولي الأبصار، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرَها إلّا مَنْ علم حصرها. هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب، تبهر العقول وتسلب القلوب، وإعجاز نظم لا يقدر عليه إلا علّام الغيوب.

ولقد كنت في زمان الطلب أتعجّب من المتقدمين إذْ لم يدوّنوا كتاباً في أنواع علوم القرآن؛ كما وضعوا ذلك بالنّسبة إلى علم الحديث، فسمعت شيخاً أستاذ الاستاذين، وإنسان عين الناظرين، خلاصة الوجود علامة الزمان، فخر العصر وعين الأوان، أبا عبد اللّه محي الدين(١) الكافَيجيَّ ـ مدّ اللّه في أجله، وأسبغ عليه ظلّه ـ يقول: قد دونتُ في علوم التفسير كتاباً لم أُسْبَق إليه؛ فكتبته عنه فإذا هو صغير الحجم جدًّا، وحاصل ما فيه بابان: الأول في ذكر معنى التفسير والتأويل والقرآن والسّورة والآية، والثاني في شروط القول فيه بالرأي، وبعدهما خاتمة في آداب العلم والمتعلّم؛ فلم يشف لي ذلك غليلاً، ولم يهدني إلى المقصود سبيلاً.

ثم أوقفني شيخنا شيخ الإسلام قاضي القضاة وخلاصة الأنام حامل لواء المذهب المُطلبيّ علمُ الدين البُلْقِينيّ رحمه اللّه تعالى،

---

(١) هو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الراوي الحنفي، من كبار العلماء بالمعقولات، لازمه السيوطي أكثر من ١٤ عاماً، وعرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو، وولي وظائف بمصر، منها مشيخة الخانقاه الشيخونية رياسة الحنفية بمصر. توفي سنة ٨٧٩ ـ (شذرات الذهب، ٣٢٦/٧).

على كتاب في ذلك لأخيه قاضي القضاة جلال الدين[1]. سمّاه مواقع العلوم من مواقع النجوم، فرأيته تأليفاً لطيفاً، ومجموعاً ظريفاً، ذا ترتيبٍ وتقرير، وتنويع وتحبير. قال في خطبته:

قد اشتهرت عن الإمام الشافعيِّ رضي الله عنه مخاطبةٌ لبعض خلفاء بني العبّاس، فيها ذكر بعض أنواع القرآن، يحصل منها لمقصدنا الاقتباس. وقد صنّف في علوم الحديث جماعةٌ في القديم والحديث وتلك الأنواع في سنده دون متنه، وفي مُسنديه[2]، وأهل فنّه، وأنواع القرآن شاملة وعلومه كاملة. فأردت أن أذكر في هذا التصنيف ما وصل إلى علمي؛ مما حواه القرآن الشريف، من أنواع علمه المنيف، وينحصر في أمور:

(الأول): مواطن النزول وأوقاته ووقعائه، وفي ذلك اثنا عشر نوعاً: المكيّ، المدنيّ، السفريّ، الحضريّ، الليليّ، النهاريّ، الشتائيّ، الفراشيّ، أسباب النزول، أوّل ما نزل، آخر ما نزل.

(الأمر الثاني): السَّند، وهو ستة أنواع:

المتواتر، الآحاد، الشاذّ، قراءات النبي صلى الله عليه وسلم، الرواة، الحفّاظ.

---

(١) هو عبد الرحمن بن عمر بن رسلان الكناني العسقلاني، أبو الفضل جلال الدين، من علماء الحديث بمصر، وإليه انتهت رياسة الفتوى، وولي القضاء بالديار المصرية مراراً، مات بالقاهرة سنة ٨٢٤ - (سلك الدرر ٢ / ٣٠٨). وفي حاشية الأصل: «البلقيني» بضم الباء وسكون اللام وكسر القاف، ضبطه كذلك في كتابه الموضوع في الأنساب، وقد سمعته منه».

(٢) ط «أوفى مسنديه».

(الأمر الثالث): الأداء، وهو ستة أنواع:
الوقف، الابتداء، الإمالة، المد، تخفيف الهمزة، الادغام.
(الأمر الرابع): الألفاظ، وهو سبعة أنواع:
الغريب، المعرب، المجاز، المشترك، المترادف، الاستعارة، التشبيه.
(الأمر الخامس): المعاني المتعلقة بالأحكام، وهو أربعة عشر نوعاً:
العامّ الباقي على عمومه، العامّ المخصوص: العام الذي أريد به المخصوص، ما خصّ فيه الكتابُ السّنة، ما خصصت فيه السنّة الكتاب، المجمل، المبين[1]، المأوّل، المفهوم، المطلق، المقيّد، الناسخ، المنسوخ، نوع من الناسخ والمنسوخ، وهو ما عمل به من الأحكام مدّة معيّنة والعامل به واحد من المكلفين.
(الأمر السادس): المعاني المتعلّقة بالألفاظ، وهو خمسة أنواع:
الفصل، الوصل، الإيجاز، الإطناب، القصر.
وبذلك تكمّلت الأنواع خمسين. ومن الأنواع ما لا يدخل تحت الحصر: الأسماء، الكنى، الألقاب، المبهمات.
فهذا نهاية ما حصِر من الأنواع.
هذا آخر ما ذكره القاضي جلال الدين في الخطبة، ثم تكلّم في كل نوع منها بكلام مختصر يحتاج إلى تحرير وتتمّات وزوائد مهمات. فصنّفت في ذلك كتاباً سمّيته «التحبير في علوم التفسير» ضمّنتُه ما ذكر البُلقينيّ من الأنواع من زيادة مثلها، وأضفت إليه فوائد

(١) حاشية الأصل من نسخة: «الظاهر».

سمحت القريحة بنقلها، وقلت في خطبته:

أما بعد، فإنّ العلوم وإن كثر عددها، وانتشر في الخافقين مَدَدُها، فغايتها بحرٌ قعره لا يدرَكِ، ونهايتها طودٌ شامخ لا يستطاع إلى ذروته أن يُسلك، وهذا يفتح لعالم بعد آخر من الأبواب، ما لم يتَّطرق إليه من المتقدّمين الأسباب. وإنَّ ممّا أهمل[1] المتقدمون تدوينه حتى تحلّى في آخر الزمان بأحسن زينة، علم التفسير الذي هو كمصطلح الحديث، فلم يدوّنه أحدٌ لا في القديم ولا في الحديث، حتى جاء شيخُ الإسلام وعمدة الأنام، علّامة العصر، قاضي القضاة جلال الدين البلقيني رحمه اللّه تعالى، فعمل فيه كتابَه «مواقع العلوم من مواقعَ النجوم»، فنقّحه وهذّبه، وقسّم أنواعه ورّتبَه، ولم يُسبَق إلى هذه المرتبة، فإنه جعله نيّفاً وخمسين نوعاً، منقسمة إلى ستة أقسام، وتكلّم في كلّ نوعٍ منها بالمتين من الكلام، فكان كما قال الإمام أبو السعادات ابن الأثير في مقدّمة نهايته: كلّ مبتدىء لشيءٍ لم يُسبَق إليه، ومبتدع أمراً[2] لم يتقدّم فيه عليه، فإنّه يكون قليلاً ثم يكثر، وصغيراً ثم يكبر[3].

فظهر لي استخراجُ أنواع لم يسبق اليها، وزيادة مهمات لم يستوفِ الكلام عليها، فجرّدت الهمة الى وضع كتاب في هذا العلم، وأجمع بهِ إن شاء اللّه تعالى شوارده، وأضمّ إليه فوائده، وأنظم في سلكه فرائده، لأكون في ايجاد هذا العلم ثاني اثنين، وواحداً في جمع

---

(١) ط: «أهل» تحرف.

(٢) النهاية «لأمر».

(٣) نهاية ابن الأثير ١/٥.

الشتيت منـه كألفٍ أو كـألفين، ومصيّراً فنيّ التفسيـر والحـديث في استكمال التقاسيم ألفين. وإذْ برز نَوْر كمامه وفاح، وطلع بدر كماله وَلَاح، وأذّن فجره بالصّباح، ونادى داعيه بالفلاح، سميته بالتحبير في علوم التفسير.

وهذه فهرست الأنواع بعد المقدّمة.

النوع الأول والثاني: المكيّ والمدنيّ.

الثالث والرابع: الحَضريّ والسّفريّ.

الخامس والسادس: النهاريّ والليليّ.

السابع والثامن: الصَيْفيّ والشتائيّ.

التاسع والعاشر: الفِراشيّ والنّوميّ.

الحادي عشر: أسباب النزول.

الثاني عشر: أوّل من نزل.

الثالث عشر: آخر ما نزل.

الرابع عشر: ما عرف وقت نزوله.

الخامس عشر: ما أنزل فيه ولم ينزل على أحد من الأنبياء.

السادس عشر: ما أنزل منه على الأنبياء.

السّابع عشر: ما تكرّر نزوله.

الثامن عشر: ما نَزَل مفرّقاً.

التاسع عشر: ما نزل جَمْعاً.

العشرون: كيفية إنزاله. وهذه كلها متعلّقة بالنزول.

الحادي والعشرون: المتواتر.

الثاني والعشرون: الآحاد.

الثالث والعشرون: الشاذّ.

الرابع والعشرون: قراءات النبي صلى اللّه عليه وسلم.
الخامس والسادس والعشرون: الرواة والحفاظ.
السابع والعشرون: كيفيّة التحمّل.
الثامن والعشرون: العالي والنّازل.
التاسع والعشرون: المسلسل. وهذه متعلّقة بالسند.
الثلاثون: الابتداء.
الحادي والثلاثون: الوقف.
الثاني والثلاثون: الإمالة.
الثالث والثلاثون: المدّ.
الرابع والثلاثون: تخفيف الهمزة.
الخامس والثلاثون: الإدغام.
السادس والثلاثون: الإخفاء.
السابع والثلاثون: الإقلاب.
الثامن والثلاثون: مخارج الحروف. وهذه متعلقة بالأداء.
التاسع والثلاثون: الغريب.
الأربعون: المعرب.
الحادي والأربعون: المجاز.
الثاني والأربعون: المشترك.
الثالث والأربعون: المترادف.
الرابع والخامس والأربعون: المحكم والمتشابه.
السادس والأربعون: المشكل.
السابع والثامن والأربعون: المجمَل والمبيّن.
التاسع والأربعون: الاستعارة.

الخمسون: التشبيه.
الحادي والثاني والخمسون: الكناية والتعريض.
الثالث والخمسون: العام الباقي على عمومه.
الرابع والخمسون: العامّ المخصوص.
الخامس والخمسون: العامّ الذي أريد به الخصوص.
السادس والخمسون: ما خصّ فيه الكتاب والسنة.
السابع والخمسون: ما خصّت فيه السنّة والكتاب.
الثامن والخمسون: المأول.
التاسع والخمسون: المفهوم.
الستون والحادي والستون: المطلق والمقيّد.
الثاني والثالث والستون: الناسخ والمنسوخ.
الرابع والستون: ما عمل به واحد ثم نسخ.
الخامس والستون: ما كان واجباً على واحد.
السادس والسابع والثامن والستون: الإيجاز والإطناب والمساواة.
التاسع والستون: الأشباه.
السبعون والحادي والسبعون: الفصل والوصل.
الثاني والسبعون: القَصر.
الثالث والسبعون: الاحتباك.
الرابع والسبعون: القول بالموجب.
الثامن والتاسع والسبعون: التورية والاستخدام.
الثمانون: اللّفّ والنّشر.
الحادي والثمانون: الالتفات.
الثاني والثمانون: الفواصل والغايات.

الثالث والرابع والخامس والثمانون: أفضل القرآن وفاضله ومفضوله.

السادس والثمانون: مفردات القرآن.

السابع والثمانون: الأمثال.

الثامن والتاسع والثمانون: آداب القارىء والمقرىء.

التسعون: آداب المفسر.

الحادي والتسعون: من يقبل تفسيره ومن يردّ.

الثاني والتسعون: غرائب التفسير.

الثالث والتسعون: معرفة المفسرين.

الرابع والتسعون: كتابة القرآن.

الخامس والتسعون: تسمية السور.

السادس والتسعون: ترتيب الآي والسُّور.

السابع والثامن والتاسع والتسعون: الأسماء والكُنى والألقاب.

المائة: المبهمات.

الأول بعد المائة: أسماء من نزل فيهم القرآن.

الثاني بعد المائة: التاريخ.

وهذا آخر ما ذكرته في خطبة «التحبير». وقد تمّ هذا الكتاب وللّه الحمد من سنة اثنتين وسبعين، وكتبه مَنْ هو في طبقته أشياخي من أولي التحقيق، ثم خطر لي بعد ذلك أن أؤلف كتاباً مبسوطاً، ومجموعاً مضبوطاً، أسلك فيه طريق الإحصاء، وأمشي فيه على منهاج الاستقصاء. هذا كلّه وأنا أظن أني متفرّد بذلك، غير مسبوق بالخوض في هذه المسالك، فبينا أنا أجيل في ذلك فكراً، أقدّم رِجلاً وأؤخر أخرى، إذ بلغني أنّ الشيخ الإمام بدر الدين محمد بن

عبد اللّه[1] الزركشي، أحد متأخري أصحابنا الشافعيّين، ألف كتاباً في ذلك حافلاً، يسمى «البرهان في علوم القرآن» فتطلبته حتى وقفتُ عليه، فوجدته، قال في خطبته:

لمّا كانت علوم القرآن لا تحصى، ومعانيه لا تستقصى، وجبت العناية بالقدْرِ الممكن. ومما فات المتقدمين، وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه كما وضع النَّاسُ ذلك بالنسبة إلى علم الحديث؛ فاستخرت اللّه تعالى ـ وله الحمد ـ في وضع كتاب في ذلك، جامع لما تكلم الناس في فنونه، وخاضوا في نُكته وعيونه، وضمُنتُه من المعاني الأنيقة، والحكم الرشيقة، ما بَهَر القلوب عجباً[2]، ليكونَ مفتاحاً لأبوابه، عنواناً على كتابه، معيناً للمفسّر على حقائقه، مطلعاً على بعض أسراره ودقائقه، وسمّيتُهُ «البُرْهان»، في علوم القرآن».

## ١٠ ـ كتاب تاريخ الخلفاء:

قال السيوطي رحمه اللّه: هذا تاريخ لطيف ترجمت فيه الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة من عهد أبي بكر الصديق ـ رضي اللّه عنه! ـ إلى عهدنا هذا، قلت: «أي إلى عهد السيوطي» على ترتيب زمانهم الأول فالأول، وذكرت في ترجمة كل منهم ما وقع في

---

(١) هو الإمام بدر الدين محمد بن عبد اللّه بن بهادر الزركشي، ولد بالقاهرة سنة ٧٤٥، وتفقه بمذهب الشافعي، ولازم جمال الدين الإسنوي رئيس الشافعية بمصر، وتخرج على الشيخ سراج الدين البلقيني والحافظ مغلطاي، وألف في الحديث والفقه الشافعي والأصول. وتوفي سنة ٧٩٤، (انظر حسن المحاضرة ١ / ١٨٥).

(٢) البرهان: «ما يهز القلوب طرباً، ويبهر العقول عجباً».

أيامه من الحوادث المستغربة، ومَنْ كان في أيامه من أئمة الدين وأعلام الأمة.

والداعي إلى تأليف هذا الكتاب أمور: منها أن الإحاطةَ بتراجم أعيان الأمة مطلوبةٌ، ولذوي المعارف محبوبة، وقد جَمَعَ جماعةٌ تواريخَ ذكروا فيها الأعيان مختلطين ولم يستوفوا، واستيفاء ذلك يوجب الطول والملال، فأردت أن أفرد كل طائفة في كتاب أقربَ الى الفائدة لمن يريد تلك الطائفة خاصة وأسهل في التحصيل؛ فأفردت كتاباً في الأنبياء صلوات اللّه عليهم وسلامه، وكتاباً في الصحابة ملخصاً من الإصابة لشيخ الإسلام أبي الفضل بن حجر، وكتاباً حافلاً في طبقات المفسرين، وكتاباً وجيزاً في طبقات الحفاظ لخّصته من طبقات الذهبي، وكتاباً جليلاً في طبقات النحاة واللغويين لم يؤلف قبله مثله، وكتاباً في طبقات الأصوليين، وكتاباً جليلاً في طبقات الأولياء، وكتاباً في طبقات الفَرَضيِّين، وكتاباً في طبقات البيانيين، وكتاباً في طبقات الكتاب ـ أعني أرباب الإنشاء ـ وكتاباً في طبقات أهل الخط المنسوب، وكتاباً في شعراء العرب الذين يُحْتَجُّ بكلامهم في العربية. وهذه تجمع غالبَ أعيان الأمة، واكتفيت في طبقات الفقهاء بما ألفه الناسُ في ذلك لكثرته والاستغناء به، وكذلك اكتفيت في القُرَّاء بطبقات الذهبي، وأما القُضَاة فهم داخلون فيمن تقدم، ولم يبق من الأعيان غيرُ الخلفاء مع تشوق النفوس إلى أخبارهم، فأفردت لهم هذا الكتاب، ولم أورد أحداً ممن ادعى الخلافة خروجاً ولم يتم له الأمر ككثير من العلويين وقليل من العباسيين.

ولم أورد أحداً من الخلفاء العُبَيْديين، وإنما سميتهم بالفاطميين جَهَلَةُ العوام، وإلا فجدهم مجوسي، قال القاضي عبد الجبار

البصري: اسم جد الخلفاء المصريين سعيد[1]، وكان أبوه يهودياً حداداً نشابة، وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: القدَّاح جد عبيد الله الذي يسمى بالمهدي كان مجوسيّاً، ودخل عبيد اللّه المغرب، وادعى أنه علوي، ولم يعرفه أحد من علماء النسب، وسماهم جهلة الناس الفاطميين، وقال ابن خلكان: أكثر أهل العلم لا يُصَحِّحون نسب المهدي عبيد اللّه جد خلفاء مصر، حتى إن العزيز باللّه ابن المعز في أول ولايته صعد المنبر يوم الجمعة فوجد هناك ورقة فيها هذه الأبيات:

إنا سمعنا نسباً منكراً ... يُتْلى على المنبر في الجامع
إن كنتَ فيها تدَّعي صادقاً ... فاذكر أباً بعد الأب الساع
وإن تُرِدْ تحقيق ما قلته ... فانْسُبْ لنا نفسك كالطائع
أو لا دع الأنساب مستورةً ... وادخل بنا في النسب السابع
فإن إنساب بني هاشم ... يَقْصُرُ عنها طمعُ الطامع

وكتب العزيز إلى الأموي صاحب الأندلس كتاباً سبه فيه وهجاه، فكتب إليه الأموي «أما بعد فإنك قد عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك» فاشتد ذلك على العزيز فأقحمه عن الجواب ـ يعني أنه دَعيٌّ لا تُعرف قبيلته ـ قال الذهبي: المحققون متفقون على أن

(١) اسم جد الفاطميين مختلف فيه اختلافاً كبيراً، والذي يترجح عندنا أنهم جهلة فجار مجوس أو يهود، كما ذكره المؤلف، ولم نجد أحداً دافع عنهم كالمقريزي صاحب الخطط والتاريخ، وهو منهم، لأن نسبه متصل بهم كما قيل. هكذا كما قال الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد رحمه اللّه تعالى.

عبيد اللّه المهدي ليس بعلوي، وما أحسن ما قاله حفيده المعز صاحب القاهرة ـ وقد سأله ابن طبَاطبَا العلوي عن نسبهم ـ فجذب نصف سيفه من الغمد وقال: هذا نسبي، ونثر على الأمراء والحاضرين الذهَبِ. وقال: هذا حسبي، ونثر على الأمراء والحاضرين الذهَبَ، وقال: هذا حسبي.

ومنها: أن أكثرهم زنادقة خارجون عن الإسلام، ومنهم من أظهر سَبَّ الأنبياء، ومنهم من أباح الخمر، ومنهم من أمر بالسجود له، والخيِّر منهم رافضي خبيث لئيم يأمر بسبِّ الصحابة رضي اللّه عنهم؛ ومثلُ هؤلاء لا تنعقد لهم بيعة، ولا تصح لهم إمامة.

قال القاضي أبو بكر الباقلاني: كان المهدي عبيد اللّه باطنياً خبيثاً حريصاً على إزالة ملة الإسلام، أعدم العلماء والفقهاء ليتمكن من إغواء الخلق، وجاء أولاده على أسلوبه: أباحوا الخمر والفروج، وأشاعوا الرفض.

وقال الذهبي: كان القائم بن المهدي شراً من أبيه زنديقاً ملعوناً أظهر سَبِّ الأنبياء، وقال: وكان العبيديون على ملة الإسلام شراً من التَّتَر.

وقال أبو الحسن القابسي: إن الذين قتلهم عبيد اللّه وبنوه من العلماء والعباد أربعة آلاف رجل ليردوهم عن الترضي عن الحصابة، فاختاروا الموت، فيا حبذا لو كان رافضياً فقط، ولكنه زنديق.

وقال القاضي عياض: سئل أبو محمد القيرواني من علماء المالكية عمن أكرهه بنو عُبيد ـ يعني خلفاء مصر ـ على الدخول في دعوتهم أو يقتل؟ قال: يختار القتل، ولا يعذر أحد في هذا الأمر، كان أول دخولهم قبل أن يعرف أمرهم، وأما بعد فقد وجب الفرار، فلا

يعذر أحد بالخوف بعد إقامته، لأن المقام في موضع يطلب من أهله تعطيل الشرائع لا يجوز، وإنما أقام من أقام من الفقهاء على المباينة لهم لئلا تخلو للمسلمين حدودهم فيفتنوهم عن دينهم.

وقال يوسف الرعيني: أجمع العلماء بالقيروان على أن حال بني عُبَيد حال المرتدين والزنادقة، ؛ لما أظهروا من خلاف الشريعة.

وقال ابن خلكان: وقد كانوا يَدَّعون علم المغيبات، وأخبارهم في ذلك مشهورة، حتى إن العزيز صعد يوماً المنبر فرأى ورقة فيها مكتوب:

بالظلم والجور قد رضينا وليس بالكفر والحماقَه
إن كنت أُعْطيتَ علم غيب بَيِّنْ لنا كاتب البطاقة

وكتبتْ إليه امرأة قصة فيها: بالذي أعز اليهود بميشا[1]، والنصارى بابن نسطور، وأذل المسلمين بك، الا نظرت في أمري، وكان ميشاً[1] اليهودي عاملاً بالشام، وابن نسطور النصراني بمصر.

ومنها: أن مبايعتهم صدرت والإمامُ العباسيُّ قائم موجود سابق البيعة فلا تصح ؛ إذ لا تصح البيعة لإمامين في وقت واحد، والصحيح المتقدم.

ومنها: أن الحديث ورد بأن هذا الأمر إذا وصل الى بني العباس لا يخرج عنهم حتى يسلموه إلى عيسى بن مريم أو المهدي ؛ فعلم أن مَنْ تَسَمَّى بالخلافة مع قيامهم خارج باغ.

فلهذه الأمور لم أذكر أحداً من العبيديين ولا غيرهم من الخوارج، وإنما ذكرت الخليفة المتفق على صحة إمامته وعَقْد بيعته، وقد قدمت

---

(١) في نسخة «بمنشا» وكذلك وقع في بعض الأمهات.

في أول الكتاب فصولاً فيها فوائد مهمة، وما أوردته من الوقائع الغريبة والحوادث العجيبة فهو ملخص من تاريخ الحافظ الذهبي والعهدة في أمره عليه، والله المستعان.

## ١١ ـ فصل في مدة الخلافة في الإسلام:

قال الإمام أحمد: حدثنا بَهْزٌ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا سعيد بن جمهان عن سفينة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الخلافة ثلاثون عاماً، ثم يكون بعد ذلك الملك» أخرجه أصحاب السنن، وصححه ابن حبان وغيره.

قال العلماء: لم يكن في الثلاثين بعده صلى الله عليه وسلم إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن.

وقال البزار: حدثنا محمد بن سكين حدثنا يحيى بن حسان حدثنا يحيى بن حمزة عن مكحول عن أبي ثعلبة عن أبي عبيدة بن الجراح قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أول دينكم بدأ نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون ملكاً وجبرية»[1] حديث حسن.

وقال عبيد الله بن أحمد: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدسي، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا ابن عون، عن الشعبي عن جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً يُنْصَرُون على من ناوأهم[2] عليه اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»

---

(١) الجبرية: التجبر والقهر.

(٢) ناوأهم عليه: عاداهم وجاهرهم بالعداوة وحاول أخذه منهم.

أخرجه الشيخان وغيرهما، وله طرق وألفاظ: منها «لا يزال هذا الأمر صالحاً»، ومنها «لا يزال الأمر ماضياً» رواهما أحمد، ومنها عند مسلم «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً»، ومنها عنده «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي له فيهم اثنا عشر خليفة»، ومنها عنده، «لا يزال الإسلام عزيزاً مَنيعاً إلى اثني عشر خليفة»، ومنها عند البزار «لا يزال الإسلام عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة»، ومنها عند البزار «لا يزال أمر أمتي قائماً حتى ليمضي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»؛ ومنها عند أبي داود زيادة «فلما رجع إلى منزله أتته قريش» فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يكون الهرج[1]، ومنها عنده «لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع الأمة عليه» وعند أحمد والبزار بسند حَسَن عن ابن مسعود: «أنه سئل: كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال: سألنا عنها رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم؟ فقال: اثنا عشر كعدَّة نُقَبَاء بني اسرائيل».

قال القاضي عياض: لعل المراد بالاثني عشر في هذه الأحادث وما شابهها أنهم يكونون في مدة عزة الخلافة وقوة الإسلام واستقامة أموره والاجتماع على مَنْ يقوم بالخلافة، وقد وجد هذا فيمن اجتمع عليه الناس إلى أن اضطرب أمر بني أمية ووقعت بينهم الفتنة زَمَن الوليد بن يزيد، فاتصلت بينهم إلى أن قامت الدولة العاسية فاستأصلوا أمرهم. قال شيخ الإسلام ابن حجر في شرح البخاري: كلام القاضي عياض أحسن ما قيل في الحديث وأرجحه؛ لتأييده بقوله في بعض طرق الحديث الصحيحة: «كلهم يجتمع عليه الناس»

---

(١) الهرج: الفتنة واختلاط الأمن.

وإيضاحُ ذلك أن المراد بالاجتماع انقيادهم لبيعته، والذي وقع أن الناس اجتمعوا على أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، إلى أن وقع أمر الحكمين في صفين[1] فتسمى معاوية يومئذ بالخلافة، ثم اجتمع الناسُ على معاوية عند صلح الحسن، ثم اجتمعوا على ولده يزيد، ولم ينتظم للحسين أمر بل قتل قبل ذلك[2]، ثم لما مات يزيد وقع الاختلاف إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير، ثم اجتمعوا على أولاده الأربعة الوليد ثم سليمان يزيد ثم هشام، وتخلل بين سليمان ويزيد عمرُ بن عبد العزيز، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين، والثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك اجتمع الناسُ عليه لما مات عمه هشام فولي نحو أربع سنين، ثم قاموا عليه فقتلوه، وانتشرت الفتن وتغيرت الأحوال من يومئذ، ولم يتفق أن يجتمع الناس على خليفة بعد ذلك، لأن يزيد بن الوليد الذي قام على ابن عمه الوليد بن يزيد لم تطل مدته، بل ثار عليه قبل أن يموت ابنُ عم أبيه مروان بن محمد بن مروان، ولما مات يزيد ولي أخوه ابراهيم فقتله مروان، ثم سار على مروان بنو العباس إلى أن قتل، ثم كان أول خلفاء بني العباس السفاح، ولم تطل مدته مع كثرة مَنْ ثار عليه، ثم ولي أخوه المنصور فطالت مدته لكن خرج عنهم المغرب الأقصى باستلاء المروانيِّين على الأندلس، واستمرت في أيديهم متغلبين عليها إلى أن تسمَّوْا بالخلافة بعد ذلك، وانفرط الأمر إلى أن لم يبق من الخلافة إلا الاسم في البلاد بعد أن كان في

---

(١) صفين ـ بزنة سكين وسجيل ـ موضع حدثت فيه وقائع بين علي رضي اللّه عنه ومعه جيوش أهل العراق ومعاوية ابن أبي سفيان ومعه أهل الشام.

(٢) المراد قبل اجتماع الناس على يزيد.

أيام بني عبد الملك بن مروان يخطب للخليفة في جميع الأقطار من الأرض شرقاً وغرباً يميناً وشمالاً مما غلب عليه المسلمون ولا يتولى أحد في بلد من البلاد كلها الإمارة على شيء منها إلا بأمر الخليفة.

ومن انفراط الأمر أنه كان في المائة الخامسة بالأندلس وحدها ستةُ أنفس كلهم يتسمى بالخلافة، ومعهم صاحب مصر العبيدي، والعباسي ببغداد خارجاً عمن كان يدعي الخلافة في أقطار الأرض من العلوية والخوارج.

قال: فعلى هذا التأويل يكون المراد بقوله: «ثم يكون الهرج» يعني القتل الفاشي عن الفتن وقوعاً فاشياً ويستمر ويزداد، وكذا كان.

وقيل: إن المراد وجود اثني عشر خليفة في جميع مدة الإسلام إلى يوم القيامة يعملون بالحق وإن لم تتوال أيامهم، ويؤيد هذا ما أخرجه مُسَدَّد في مسنده الكبير عن أبي الخلد أنه قال: «لا تهلك هذه الأمة حتى يكون منها اثنا عشر خليفة كلهم يعمل بالهدى ودين الحق، منهم رجلان من أهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم» وعلى هذا فالمراد بقوله: «ثم يكون الهرج» أي الفتن المؤذنة بقيام الساعة: من خروج الدجال وما بعده، انتهى.

قلت: وعلى هذا فقد وجد من الاثني عشر خليفةً الخلفاء الأربعة، والحسن، ومعاوية، وابن الزبير، وعمر بن عبد العزيز، هؤلاء ثمانية، ويحتمل أن يضم اليهم المهتدي من العباسيين، لأنه فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني أمية، وكذلك الطاهر لما أوتيه من العدل، وبقي الاثنان المنتظران أحدهما المهدي لأنه من آل بيت محمد صلى الله عليه وسلم.

## ١٢ ـ فصل في بيان أن الأئمة من قريش، والخلافة فيهم:

قال أبو داود الطيالسي في مسنده: حدثنا سكين بن عبد العزيز عن سيار بن سلامة عن أبي بَرْزَةَ أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: «الأئمة من قريش ما حكموا فعدلوا ووعدوا فوفوا واسْتُرْحِمُوا فرحموا»[١] أخرجه الإمام أحمد وأبو يعلي في مسنديهما والطبراني.

وقال الترمذي: حدثنا أحمد بن منيع حدثنا زيد بن الحباب حدثنا معاوية بن صالح حدثنا أبو مريم الأنصاري عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «الملك في قريش، والقضاء في الأنصار، والأذان في الحبشة». إسناده صحيح.

وقال الإمام أحمد في مسنده: «حدثنا الحاكم بن نافع حدثنا إسماعيل ابن عيَّاش عن ضمضم بن زرعة عن شريح عن كثير بن مرة عن عتبة بن عبدان، أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: «الخلافة في قريش، والحكم في الأنصار، والدعوة في الحبشة» رجاله موثقون.

وقال البزار: حدثنا ابراهيم بن هانىء حدثنا الفيض ابن الفضل حدثنا مِسْعر عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن ربيعة بن ماجد عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «الأمراء من قريش، أبرارها أمراء أبرارها، وفُجَّارها أمراء فجارها».

---

(١) هذا الحديث يدل على أن أحق الناس بالخلافة قريش، لكنه لا يدل على بطلان خلافة غيرهم، وقوله، «ما حكموا فعدلوا» يدل على أن المعيار هو اتصافهم بهذه الصفات: العدل، والوفاء، والرحمة.

## ١٣ ـ فصل في بيان كونه صلى اللّه عليه وسلم لم يستخلف، وسر ذلك:

قال البزار في مسنده: حدثنا عبد اللّه بن وضاح الكوفي، حدثنا يحيى بن اليماني، حدثنا إسرائيل، عن أبي اليقظان عن أبي وائل عن حذيفة، قال: قالوا: يا رسول اللّه ألا تستخلف علينا؟ قال: «إني إن أستخلف عليكم فتعصون خليفتي ينزل عليكم العذاب» أخرجه الحاكم في المستدرك، وأبو اليقظان ضعيف[١].

وأخرج الشيخان عن عمر أنه قال حين طُعِنَ: «إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني ـ يعني أبا بكر ـ وإن أترككم فقد ترككم مَنْ هو خير مني» ـ يعني رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ـ وأخرج أحمد والبيهقي في دلائل النبوة بسند حسن عن عمرو بن سيفان قال: لما ظهر عليٌّ يوم الجمل قال: أيها الناس، إن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئاً، حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله، ثم إن أبا بكر رأي من الرأي أن يستخلف عمر، فأقام واستقام حتى ضرب الدين بِجرَانه[٢]، ثم إن أقواماً طلبوا الدنيا فكانت أمور يقضي اللّه فيها.

وأخرج الحاكم في المستدرك وصححه البيهقي في الدلائل عن أبي وائل قال: قيل لعلي: «ألا تستخلف علينا؟ قال: ما استخلف رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فأستخلف، ولكن إن يرد اللّه بالناس

---

(١) في الإسناد الذي روى به الحاكم هذا الحديث شريك بن عبد الله وأبو اليقظان، وقد قال الذهبي عن شريك شيعي لين الحديث.

(٢) ضرب الدين بجرانه: هذه كناية عن ثبات أمره واستقراره.

خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم».

قال الذهبي: وعند الرافضة أباطيلُ في أنه عَهد إلى علي اللّه عنه، وقد قال هذيل بن شرحبيل: أكان أبو بكر يتأمر على علي وَصِيٍّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ودَّ أبو بكر أنه وَجَد عهداً من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فخزم أنفه بخزام؟ أخرجه ابن سعد والبيهقي في الدلائل، وأخرج ابن سعد عن الحسن قال: قال علي: لما قُبِض رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي صلى اللّه عليه وسلم قد قَدَّم أبا بكر في الصلاة، فرضينا لدنيانا عمن رضي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عنه لديننا؛ فقدمنا أبا بكر.

وقال البخاري في تاريخه: رُوِيَ عن ابن جمهان عن سفينة أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال لأبي بكر وعمر وعثمان: هؤلاء الخلفاء بعدي، قال البخاري: ولم يتابع على هذا؛ لأن عمر وعلياً وعثمان قالوا: لم يستخلف النبي صلى اللّه عليه وسلم، انتهى.

والحديث المذكور أخرجه ابن حبان قال: حدثنا أبو يعلي، حدثنا يحيى الجماني حدثنا حشرج عن سعيد بن جمهان عن سفينة: لما بنى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم المسجد وضع في البناء حجراً وقال لأبي بكر، ضع حجرك إلى جنب حجري، ثم قال لعمر: ضَعْ حجرك إلى جنب حجر أبي بكر، ثم قال لعثمان: ضع حجرك إلى جنب حجر عمر، ثم قال: «هؤلاء الخلفاء بعدي» قال أبو زرعة: إسناده لا بأس به، وقد أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه البيهقي في الدلائل وغيرها.

قلت: ولا منافاة بينه وبين قول عمر وعلي إنه لم يستخلف؛ لأن مرادهما أنه عند الوفاة لم ينص على استخلاف أحد، وهذا إشارة وقعت قبل ذلك فهو كقوله صلى اللّه عليه وسلم في الحديث الآخر: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» أخرجه الحاكم من حديث العِرْبَاض بن سارية، وكقوله صلى اللّه عليه وسلم: «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر» وغير ذلك من الأحاديث الشهيرة إلى الخلافة.

## ١٤ ـ كتاب الدر المنثور في التفسير بالمأثور:

قال ابن خلدون في مقدمته: أعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه وكان ينزل جملاً جملاً وآيات آيات لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع ومنها ما هو في العقائد الايمانية ومنها ما هو في أحكام الجوارح ومنها ما يتقدم ومنها ما يتأخر ويكون ناسخاً له وكان النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ يبين الجمل ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرفه أصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولاً عنه[١].

وكان تفسير النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ لبعض آي القرآن تالياً لتفسير اللّه سبحانه وتعالى لكتابه. ذلك أن تأويل كلام اللّه لا يعلمه إلا اللّه مصداقاً لقوله تعالى ﴿وما يعلم تأويله إلا اللّه﴾[٢].

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ٤٣٩.
(٢) آل عمران، آية: ٧.

وروى الرواة أن عائشة[1] رضي اللّه عنها قالت: ما كان رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ يفسر من كتاب اللّه إلا آياً بعدد علمه اياهن جبرل، وجبريل هو سفير الرحمن فلا شك أنه نقل هـذا التفسير عن رب العزة سبحانه.

## ١٥ ـ أسباب تأليف الدُرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة:

قال السيوطي رحمه اللّه تعالى: الحمد للّه تعالى تعظيماً لشأنه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه وأنصاره وأعوانه.

. . . وبعد.

فإن من المهم بيان حال الأحاديث التي اشتهرت على ألسنة العامة ومن ضاهاهم من الفقهاء الذين لا علم لهم بالحديث، وبيان ما له أصل من ذلك من غيره. وقد ألّف الشيخ بدر الدين الزركشي في ذلك كتاباً لطيفاً، غير أنه محتاج الى تنقيح وزيادة، وتنكيت وإفادة، فلخصته هنا مع زيادة الحج الغفير، ونبهت على ما فيه اعتراض من كلامه وتنفير، وميّزت ما زدته بقولي: قلت في أوله، وبانتهى في آخره. ورتبته على حروف المعجم ليكون أسهل في الكشف. وسميته «الدرر المتناثرة في الأحاديث المشتهرة» واللّه أسأل أن

---

(١) عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق. كان أصحاب فقهاء رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يرجعون إليها، تفقه بها جماعة. توفيت سنة سبع وخمسين. انظر ترجمتها (في طبقات الحفاظ للسيوطي، ص ١٦).

يُدرجنا في حزبه، ويجعلنا من المعدودين في أتباع هذا النبي الكريم وصحبه بمنه آمين»[1].

## ١٦ ـ مفهوم التفسير والتأويل:

والتفسير تفعيل من الفسر ـ كما يقول السيوطي ـ وهو البيان والكشف. ويقال: هو مقلوب السفر تقول أسفر الصبح إذا أضاء وقيل مأخوذ من التفسرة وهو اسم لما يعرف به الطبيب المرض واختلف في التفسير والتأويل، قيل هما بمعنى واحد وقال الراغب: التفسير أعمّ من التأويل، وأغلب استعماله في الألفاظ ومفرداتها وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها وقال أبو طالب التغلبي: التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً، كتفسير الصراط بالطريق والصيب بالمطر.

والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ عن الأول وهو الرجوع لعاقبة الأمر فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد والتفسير إخبار عن دليل المراد. لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل مثاله قوله تعالى: ﴿إنَّ ربك لبالمرصاد﴾ـ تفسيره أنه من الرصد. يقال رصدته رقبته، وتأويله التحذير من التهاون بأمر اللّه والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة[2]، والحاجة إلى التفسير ملحة، لأنه يبين للناس مقاصد اللّه من

(١) انظر مقدمة الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للإمام جلال الدين السيوطي بتحقيق الشيخ خليل محي الدين الميس. طبعة الدار العربية.
(٢) انظر كتاب الحافظ جلال الدين السيوطي تأليف الأستاذ عبد الحفيظ فرغلي القرني.

خطابه لهم، ويأخذ بيدهم الى الطريق الموصل لنجاتهم وهدايتهم إلى الصراط المستقيم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وقد أشار العلماء المتحققون إلى ذلك في كتبهم وقالوا: إن موضوع علم التفسير هو كلام اللّه الذي فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يغلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه والغرض منه الاعتصام بالعروة الوثقى وكل كمال ديني أو دنيوي عاجل أو آجل مفتقر إلى العلوم الشرعية وهي متوقعة على فهم كتاب اللّه تعالى.

وقد نزل القرآن بلغة العرب وكان المخاطبون به عرباً يعرفون لغته ومراميها وأساليبها وكان النبي صلى اللّه عليه وسلم ـ وهو بين ظهرانيهم يبين لهم ما يخفى عليهم، وكان بعضهم يسأله فيجيب أحياناً وكان هو يبيّن المقصود من غير سؤال له أحياناً، وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله: ﴿كتاب أنزلناه اليك لتبين للناس ما نزل إليهم﴾.

وإذا كان العرب القدامى وهم أرباب الفصاحة والبلاغة يقف بعضهم أمام مرامي ألفاظه حيادى فنحن الآن وقد اختلط اللسان وفسر الزمان وانصرفت الأذهان أشد احتياجاً إلى التفسير ولا يتسنى لكل فرد أن يقول في التفسير برأيه. فمن أهم شرائط المفسر أن يكون صحيح الاعتقاد ملتزماً بأداب الدين وسنة رسول رب العالمين. وأن يكون جل اعتماده في تفسيره على ما ورد عن النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ وعن أصحابه ـ رضوان اللّه عليهم وعلى من اتبعوهم بإحسان، وأن يكون عالماً باللغة وأسرارها عارفاً بأسرار النزول والناسخ والمنسوخ ملماً بحديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم[1].

---

(١) انظر كتاب الحافظ جلال الدين السيوطي، تأليف الأستاذ عبد الحفيظ فرغلي القرني.

وقد تطور علم التفسير على كثرة ما ألف فيه، حتى أصبحت كتب التفسير لا تكاد تحصى ولكل مفسر ذوقه وأسلوبه فمنهم من نحا ناحية اللغة، ومنهم من نحا ناحية البلاغة ومنهم من وقف عند حدود النقل ومنهم من اتجه ناحية العقل، وظهرت بعض الاتجاهات العقلية والصوفية والمذهبية في بعض كتب التفسير. حتى لقد تشعبت الأقوال أحياناً حول الآية الواحدة.

ولذلك كان الرجوع الى المأثور من التفسير أسلم طريق للوصول الى الحقيقة[1].

وقد ألف في هذا المضمار العالم الجليل الامام السيوطي كتاباً سماه ترجمان القرآن. واستطاع أن يجمع فيه أكثر من عشرة آلاف حديث من تفاسير النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ والصحابة، ثم بدا له أن يختصره في كتاب تيسيراً على القارئين والدارسين فاختصره في كتاب مشهور هو: الدر المنثور في التفسير بالمأثور. ويقول السيوطي : رأيت النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ وأنا في أثناء تصنيفه في المنام في قصة طويلة تحتوي على بشارة حسنة ويقول الدكتور منيع عبد الحليم محمود عنه: لقد ألّف السيوطي في التفسير ما يتعلق به ثلاثة وسبعين كتاباً ورسالة. الدر المنثور هو أجمع كتاب للتفسير بالمأثور، لم يبد فيه الامام السيوطي رأياً ولم يقل كلمة مفسرة أو جملة شارحة، وإنما التزم التزاماً كاملاً أن يكون تفسيره جميع الأحاديث الواردة عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ـ في الآية وسرد لبعض أقوال الصحابة رضي اللّه عنهم.

---

(١) انظر المصدر السابق.

قال: ولم يلتزم السيوطي في جمعه هذا صحة الأحاديث والنقل ومن أجل هذا فإن هذا الكتاب الجليل في حاجة ماسة إلى عمل متقن في التحقيق والتخريج وبيان الصحيح من الأحاديث والحسن منها والضعيف على الرغم من أنه كان ينبه إلى درجة الحديث فيقول ـ مثلاً ـ أخرج فلان وفي سنده ضعف أو أخرج بسند ضعيف وهو حريص على أن يذكر الحديث بسنده كاملاً، وفي ذلك تبصرة للفطن بدرجة الحديث وصحته وهو جهد كبير على أي حال لا يمكن أن يقوم به إلا رجل أتاه اللّه فطنة كبيرة وموهبة عظيمة وهمة عالية وعقلية قادرة على الاستقصاء والتتبع والحفظ، وها نحن أولاً، نقدم من هذا الكتاب شذرات ينتفع بها القارىء ويدرك من خلالها أي رجل كان هذا العبقري المجدد وكيف أمكنه أن يقدم للمسلمين خبرته في السنة ميسرة حتى يمكن الانتفاع بها في خدمة القرآن العزيز[1].

## ١٧ ـ فصل في حصول الرفق بأصول الرزق:

قال السيوطي: إن قضية الرزق من الأشياء الغيبية التي لا يعلمها إلا اللّه سبحانه وتعالى وهو سبحانه وتعالى قدره لكل مخلوق على وجه هذه الأرض وهو في رحم أمه ولما كان الإيمان بالغيب من أفضل الإيمان فقد وصف اللّه عز وجل المؤمنين بأنهم ﴿والذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾[2].

ولذلك جعل التقوى من الإيمان: «وتقوى اللّه عز وجل تزيد في

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) البقرة، آية: ٣.

الرزق ويجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب إنّ اللّه بالغ أمره قد جعل اللّه لكل شيءٍ قدراً».

وعلى المسلم أن يحسن توكله على اللّه في كل شيء من طرق السعي على الرزق فإن رزقه اللّه ـ عز وجل ـ فعليه أن يكثر من الشكر لأن اللّه قال: ﴿ولئن شكرتم لأزيدنكم﴾[1]. وعليه أن يتحرى في السعي على رزقه من حلال.

ولكن حول موضوع الكتاب يدور سؤال يحتاج إلى جواب أو تمهيد أو مدخل له وهو: ما هو الطريق الأصوب للسعي على الرزق؟ وكيف يكون التوكل؟ وكيف يحصل له الرفق بالرزق؟ فنقول:

## أهمية الرزق:

إن الرزق من الأشياء التي لا تقوم الحياة إلا بها ولما لها من تلك الأهمية الكبرى فقد قدره اللّه عز وجل في علم الغيب عنده قبل أن يخلق الإنسان، ففي الحديث: عن ابن مسعود[2] قال: قال رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اللّه إليه ملكاً ويؤمر بأربع كلمات، ويقال: اكتب عمله ورزقه،

---

(١) ابراهيم، آية: ٧.

(٢) ابن مسعود هو: أبو عبد الرحمن الهذلي صاحب رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ وخادمه وأحد السابقين الأولين، ومن كبار التابعين، ومن نبلاء الفقهاء المقرئين. كان ممن يتحرى في الأداء، ويشدد في الرواية. مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين وله نحو من ستين سنة. (أسد الغابة ٣/٣٨٤، والإصابة ٢/٣٦٠، وتاريخ بغداد ١/١٤٧، وتذكرة الحفاظ ١/٣١، وخلاصة تذهيب الكمال ١٨١).

وأجله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فإن الرجل منكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة[1]، صحيح رواه الجماعة.

فمن الكلمات التي يقدرها اللّه عز وجل هي الرزق فيكتب كم عدده، وهل هو من حرام أو من حلال. في الحديث الصحيح: «إن اللّه إذا أحب عبداً استعمله قالوا وكيف يستعمله يا رسول اللّه؟ قال: «يسر له عمل صالح يقبض عليه»[2].

فقد يقضي أجل المرء وهو يطلب الحلال أو الحرام فالسعيد من وفّقه اللّه والشقي من شقي في بطن أمه.

فإن بات هذا وأصبح يقيناً فعلى المرء أن يسعى على رزقه وألا يتكاسل لأنه قد يضيع نفسه فضلاً عما يعوله من أسرة ونحو ذلك:

ففي الحديث الصحيح أن النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ قال: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت»[3] رواه أحمد[4] وأبو داود[5]

---

(١) رواه البخاري في بدء الخلق ٧د ومسلم في القدس، وأبو داوود في السنة ١٦.
(٢) رواه الترمذي في القدس ٨، وأحمد في المسند ٣/١٠٦، ١٢٠، ٢٣٠.
(٣) رواه أبو داود في الزكاة ٤٥.
(٤) أحمد هو: الإمام أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني. إمام أهل السنة والجماعة، صاحب «المسند». مات ببغداد يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين. امرأة الجنان ٢/١٣٢، وطبقات المفسرين للداودي ١/٧٠.
(٥) أبو داود هو: الإمام العالم صاحب كتاب «السنن» أبو داود السجستاني =

والحاكم[1] والبيهقي[2] والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي السامع.

وأخرجه مسلم[3] عن عبد اللّه بن[4] عمرو أن النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ قال: كفى بالمرء أن يحبس عمن يملك قوته»[5] أي يتكاسل عنه.

قال المناوي في فيض القدير (٤/٥٥٢):

وهذا صريح في وجوب نفقة من يقوت لتعليقه الإثم على تركه لكن إنما يتصور ذلك في موسر لا معسر فعلى القادر السعي على عياله

---

سليمان بن الأشعث بن شداد. ولد سنة اثنتين ومائتين. ومات في شوال سنة خمس وسبعين ومائتين. له ترجمة في: البداية والنهاية لابن كثير ١١/٥٤، وتهذيب التهذيب لابن حجر، ٤/١٦٩، ومفتاح السعادة ٢/١٣٥.

(١) الحاكم الحافظ الكبير إمام المحدثين أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن حمدويه ابن نُعيم الضبي الطهماني النيسابوري صاحب «المستدرك» مات في صفر سنة خمس وأربعمائة. الأنساب ٩٩ ب، بتبين كذب المفتري ٢٢٧، طبقات ابن هداية اللّه ١٢٣.

(٢) البيهقي الإمام الحافظ العلامة شيخ خراسان أبو بكر أحمد بن الحسين صاحب التصانيف. مات في عشر جمادي الأولى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة بنيسابور. (طبقات الشافعية للسبكي ٤/٨، والمنتظم ٨/٢٤٢، ووفيات الأعيان لابن خلكان ١/٢٠).

(٣) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسن النيسابوري الإمام الحافظ صاحب «الصحيح». مات في رجب سنة احدى وستين ومائتين. (تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/٨٩).

(٤) عبد الله بن عمرو بن العاص أبو محمد القرشي أحد من هاجر هو وأبوه قبل الفتح. كتب عن النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ كثيراً. توفي بمصر سنة خمس وستين. (العبر ١/٧٢).

(٥) رواه مسلم في الزكاة ٤٠.

لئلا يضيعهم قمح الخوف على ضياعهم هو مضطر إلى الطلب لهم لكن لا يطلب لهم إلا قدر الكفاية لأن الدنيا بغيضة للّه وسؤال أوساخ الناس قروح وخموش يوم القيامة» أ. هـ.

وعن الفريابي قال: قال الثوري[1]: «عليك بعمل الأبطال، الكسب من حلال والإنفاق على العيال».

## ١٨ ـ حسن التوكل يزيد في الرزق:

وينبغي للمرء أن يحسن توكله على اللّه عز وجل وينبغي له أن يعرف من أين يكون مطعمه وملبسه ومسكنه، وحسن التوكل لا يكون إلا بالتقوى والدليل على ذلك قوله جل شأنه وعز جاره: ﴿ومن يتق اللّه يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على اللّه فهو حسبه إن اللّه بالغ أمره قد جعل اللّه لكل شيء قدراً﴾[2].

وقوله قدراً أي مقدراً وهو في بطن أمه كما مر، وحسن التوكل والإخلاص للّه عز وجل يجلب للمرء الرزق.

ففي الحديث الصحيح عن عمر بن الخطاب ـ رضي اللّه عنه ـ يقول: سمعت رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ قال: «لو أنكم تتوكلون على اللّه حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خماصاً

---

(١) الثوري هو: سفيان بن سعيد بن مسروق أبو عبد اللّه الكوفي أحد الأئمة الأعلام. مات بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة. (حلية الأولياء ٦/٣٥٦، طبقات الشيرازي ٨٤، الفهرست لابن النديم ٢٢٥، اللباب ١/١٩٨).

(٢) الطلاق، آية: ٣.

وتروح بطاناً»[1].

وفيه أن يتيقن المرء أن لا فاعل ولا رازق إلا اللّه وأن كل موجود على وجه الأرض من رزق وعطاء ومنع فهو من اللّه فما على المرء إلا أن يقوم بالسعي والطلب الجميل والتوكل وإظهار العجز والاعتماد على المتوكل عليه فإن علم اللّه صدق نيته رزقه كما يرزق الطير تطير من أعشاشها ثم ترجع بطونها مملوءة وصدق من قال:

توكل على الرحمن في كل حاجة أردت فإن الله يقضي ويقدر
متى ما يرد ذو العرش أمراً بعده يصبه وما للعبد ما يتخير
وقد يهلك الإنسان رجة أمته وينجو بإذن الله من حيث يحذر

فإن تيقن المرء بما تقدم فعليه أن يسعى على رزقه وله بذلك أجر ففي الحديث عن أنس أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: «إن اللّه لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وقال أما الكافر فيعظم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يعطي بها خيراً»[2].

ومعناه أن اللّه لا يظلم أحداً على حسنة أما المؤمن فيجزيه في الآخرة والمؤمن إنما يجزى الجزاء الأوفى، ويفضل عليه في الدنيا.
وأما الكافر فيجزيه اللّه في الدنيا وما له في الآخرة من نصيب.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٥٤ شاكر)، وابن ماجه (٤١٦٤)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤ / ٣٠١)، وأحمد في الزهد والحاكم كلهم عن عمر بن الخطاب.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٠٨)، وأحمد (٣/ ١٢٣، ٢٨٣)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤ / ٣١٠).

## ١٩ ـ فصل في الاجتهاد من فروض الكفايات:

فقد قال الزركشي(١) في «قواعده» قد عد الشهرستاني(٢) في «الملل والنحل» الاجتهاد من فروض الكفايات، وسرد بعض عبارته ولم يتعقبه بنكير.

قال السيوطي: وقد راجعت كتاب الشهرستاني فوجدته ذكر ذلك في موضوعين:

فقال في ترجمة أهل الفروع: المختلفون في الأحكام الشرعية والمسائل الاجتهادية: وهو في نصف الكتاب ما نصه: «وبالجملة نعلم قطعاً ويقيناً أن الحوادث والوقائع في العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر والعد، ونعلم أيضاً أنه لم يرد في كل حادثة نص، ولا يتصور ذلك أيضاً. والنصوص إذا كانت متناهية والوقائع غير متناهية، وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى: علم قطعاً أن الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد»(٣).

---

(١) هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، ويكنى أبا عبد الله، ويلقب «بدر الدين» عالم بأصول الفقه وله فيه مصنفات أشهرها «البحر المحيط» ويعد من كبار فقهاء الشافعية في عصره، ولد بمصر سنة ٧٤٥ هـ، وتوفي بها عام ٧٩٤ هـ. له ترجمة في: الدرر الكامنة ٤/١٧، وشذرات الذهب ٦/٣٥٥، وطبقات الشافعية لابن شهبة ٣/٢٢٧، والنجوم الزاهرة، ومعجم المؤلفين ٩/١٢١، والأعلام ٦/٢٨٦،

(٢) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد وكنيته أبو الفتح، ويعرف بالشهرستاني، ولد سنة ٤٧٩ هـ، وكان مقدماً في علام الكلام والنظر، والأصول، والفقه، ومات عام ٥٤٩ هـ. ترجمته في: وفيات الأعيان ٤/٢٧٣ ـ ٢٧٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٦/١٢٨ ـ ١٣٠، وتاريخ حكماء الإسلام ـ ١٣١ ـ ١٤٤، وتذكرة الحفاظ ٤/١٣١٣، ومرآة الجنان ٣/٢٨٩.

(٣) الملل والنحل ١/١٩٩، والرد على من أخلد الى الأرض ص ٩.

ثم ذكر شروط الاجتهاد من فروض الكفايات لا من فروض الأعيان حتى إذا اشتغل بتحصيله واحد سقط الفرض عن الجميع، وإن قصر فيه أهل عصر عصوا بتركه وأشرفوا على خطر عظيم، فالآن الأحكام الاجتهادية إذا كانت مرتبة على الاجتهاد ترتب المسبب على المسبب ولم يوجد السبب كانت الأحكام عاطلة والآراء كلها متماثلة، فلا بد من مجتهد[1].

هذه عبارته، وإياها ساق الزركشي.

وهذا الكلام إذا عرض على أهل العصر شق عليهم جداً، فإنه متى ادعى عندهم ثبوت وصف الاجتهاد لأحد موجود الآن ليسقط عنهم الإثم والعصيان، كبر ذلك عليهم، واستعظموه، وربما عدوا هذا القول من الهذيان والخرافات.

والسبب في ذلك أن أحداً منهم لا يمكن أن يدّعيه لنفسه ولا يدّعيه له أحد من خاصته لخلوه يقيناً عن أكثر شروطه. اذ غاية الواحد منهم أن يتقن فناً واحداً، وهو الفقه مع أن علم الفقه نفسه ليس من شروط الاجتهاد كما هو مقرر في موضعه فإن ضم إلى ذلك غيره من العلوم: قدر يسير من العربية وأنذر منه من الأصول تمت القضية.

ومتى ادّعى عندهم خلو العصر عن مجتهد، وهو الموافق لغرضهم.

كان ذلك مناداة عليهم بإثمهم كلهم، وعصيانهم بأسرهم. وما أدرى هل يرضون بذلك؟ أو يعودون على قائل هذه المقالة بالتشنيع والتضعيف لقوله. وانها مقالة واهية ساقطة لا يعول عليها ولا يعتمد

---

(١) الملل والنحل ١/٢٠٥ والرد على من أخلد الى الأرض، ٩.

عليها. وأحسنهم حالاً من يسلمها، ويقول: إن العصر لا يخلو عن مجتهد، وإن كنا لا نعلمه ولعله في البلاد القاصية لا في هذه البلاد.

الذكي الألمعي الذي يدرك أن خلافة العباسيين شرفية في مصر، وأن الذي يصدر المراسيم فعلاً إنما هو السلطان لا الخليفة.

إنها محاولة من الخليفة لإثبات وجوده في ظل سلطان صغير السن، ولو نجحت لتمادى في اصدار أوامره واستقل بالأمر، ولكنه سرعان ما تراجع حين تعصب عليه العلماء وتملّص من ذلك بدعوى أن السيوطي زين له ذلك. ويؤيد أن تصرف الخليفة كان بمثابة محاولة في طريق استقلال الخلافة بالأمر ما كان يحدث أحياناً من بطش السلاطين بالخلفاء وإلزامهم حدودهم التي ارتضوها لهم، فهم لم يستقدموهم من بغداد ليصبحوا خلفاء بمعنى الكلمة، بل لتصبح سلطنة مصر أمام الرأي العام الإسلامي هي المنقذة للخلافة والمعيدة لها وجودها بعد أن كادت تندثر في زوايا النسيان.

والقصة في أولها تدل على ما وصلت اليه منزلة السيوطي في نفس الخليفة، ولكنها تدل في آخرها على أن الخليفة لم يستطع أن يدافع عن وجهة نظره في استحقاق صاحب هذه المنزلة لما أراد أن يوليه إياه.

## ٢٠ ـ حول سورة الفاتحة:

بدأ كتابه بما ورد حول ما يثبت أن فاتحة الكتاب من القرآن الكريم فيقول:

أخرج الواحدي في أسباب النزول والثعلبي في تفسيره عن علي ـ

رضي اللّه عنه ـ قال: نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش.

وأخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه في تفسيره والبيهقي عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم «الحمد للّه رب العالمين سبع آيات: بسم اللّه الرحمن الرحيم احداهن وهي السبع المثاني والقرآن العظيم وهي أم القرآن وهي فاتحة الكتاب»[1].

وهذا الخبر يشير إلى فضل هذه السورة كما يشير إلى ذلك أيضاً هذا الخبر الذي أخرجه أحمد والبيهقي في شعب الايمان بسند جيد عن عبد اللّه بن جابر أن رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ قال له: ألا أخبرك بأخير مسودة نزلت في القرآن؟ قلت: بلى يا رسول اللّه قال: فاتحة الكتاب، وأحسبه قال: فيها شفاء من كل داء.

وفي تأييد أنها شفاء ذكر ما أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وابن السنى في عمل اليوم والليلة، والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن خارجة بن الصلت التميمي عن عمه أنه أتى رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ ثم أقبل راجعاً من عنده فمر على قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديد، فقال أهله: أعندك ما تداوي به هذا فإن صاحبكم قد جاء بخير؟ قال: فقرأت عليه فاتحة الكتاب ثلاثة أيام في كل يوم مرتين غدوة وعشية أجمع بذاقي ثم أتفل، فبرأ، فأعطوني مائة

---

(١) رواه البخاري في تفسير سورة ١/١، ١٥/٣، وفضائل القرآن ٩، والترمذي في ثواب القرآن ١، والنسائي في الافتتاح ٢٦، ومالك في الموطأ النداء ٣٧، ٤٥، وأحمد في المسند ٤/٢١١، ٥/١١٤.

(١) النسائي هو الإمام الشهير صاحب «سنن النسائي».

شاة، فأتيت النبي صلى اللّه عليه وسلم ـ فذكرت ذلك له، فقال: كل فمن أكل برقية باطل فقد أكلت برقية حق.

ولفضل الفاتحة وأهميتها وجبت الصلاة بها في كل ركعة.

أخرج الدارقطني والحاكم عن عمادة بن الصامت قال: قال رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ: أم القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها عوضاً عنها وأخرج أحمد والبيهقي في سننه عن أبي هريرة[1] قال: أمرني رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ قال: «كل صلاة لا تقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج»[2].

ويؤكد السيوطي أن بسم اللّه الرحمن الرحيم من آي الفاتحة وقد مر في ذلك أثر يشيده ما أخرجه الدارقطني عن أبي هريرة. قال: قال رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ: علمني جبريل الصلاة فقام فكبر لنا م قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فيما يجهر به في كل ركعة. وذكر في ذلك آثاراً عدة.

واستطرد السيوطي الى فضل بسم اللّه الرحمن الرحيم وفضل كتابتها وقراءتها والتبرك والتعوذ بها ومن ذلك ما أخرجه الحافظ

---

(١) أبو هريرة هو: عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني، حفظ عن النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم، وعن أبي بكر، وعمر، وأبي بن كعب. وعن سعيد بن المسيب. توفي سنة ثمان وخمسين. له ترجمة في: أسد الغابة ٦/٣١٨، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١/٣٢، والنجوم الزاهرة ١/١٥١.

(٢) رواه مسلم في الصلاة ٣٨، ٤١، وأبو داود في الصلاة ١٣٢، والتطوع ١٣، والترمذي في الصلاة ١١٦، ١٦٦، وتفسير سورة ١/١، والنسائي في الافتتاح ٣٣، وابن ماجة في الاقامة ١١، ١٧٢، ومالك في الموطأ ٣٩، وأحمد في المسند ٢/٢٠٤، ٢١٥، ٢١٥.

عبد القادر الزهاوي في الأربعين بسند حسن عن أبي هريرة. قال رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم اللّه الرحمن الرحيم أقطع» وذكر في هذا المعنى عدة آثار.

وعن عظمة كلمتي «الحمد للّه» يذكر هذا الخبر.

أخرج الطبراني في الأوسط ـ بسند ضعيف ـ عن النواس ابن سمعان قال: سرقت ناقة رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ فقال: لئن ردها اللّه لأشكرن ربي، فوقعت في حي من أحياء العرب فيهم امرأة مسلمة، فوقع في خلدها أن تهرب عليها فرأت من القوم غفلة فقعدت عليها ثم حركتها فصبحت بها المدينة فلما رآها المسلمون فرحوا بها وفشوا بمجيئها حتى أتوا رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ فلما رآها قال: الحمد لله فانتظروا هل يحدث رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ صوماً أو صلاة، فظنوا أنه نسي فقالوا: يا رسول اللّه، قد قلت لئن ردها اللّه لأشكرن ربي قال: ألم أقل الحمد للّه؟

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾! أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس[1] في قوله إياك نعبد: يعني إياك نوحد ونخاف ونرجو ربنا لا غيرك. وإياك نستعين على طاعتك وعلى أمورنا كلها.

ويخرج وكيع الغريابي عن أبي رذين قال: سمعت علياً قرأ هذا

(١) ابن عباس هو عبد اللّه بن عباس بن عبد المطلب أبو العباس الهاشمي، الإمام البحر عالم العصر ابن عم رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم، دعا له النبي صلى اللّه عليه وسلم أن يفقهه في الدين ويعمله التأويل. توفي ابن عباس بالطائف في سنة ثمان وستين. له ترجمة في: أسد الغابة لابن الأثير ٣/ ٩٠، نكت الهميان لابن الصفدي ١٨٠.

الحرف ـ وكان قرشياً عربياً فصيحاً ـ إياك نعبد وإياك نستعين فهمز ومد وشد.

وأخرج أبو القاسم البغوي والماوردي معاً في معرفة الصحابة والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الدلائل عن أنس[1] بن مالك عن أبي طلحة[2] قال: كنا مع رسول[1] ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ في غزاة فلقي العدو فسمعته يقول: إياك نعبد وإياك نستعين.. قال: فلقد رأيت الرجال تصرع تضربها الملائكة من بين يديها ومن خلفها.

واستطرد في شرح السورة بالأخبار والاحاديث حتى جاءت لفظة آمين فتحدث عنها وأورد الخبر الآتي. وأخرج وكيع وابن أبي شيبة عن أبي ميسرة قال: لما قرأ جبريل رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ فاتحة الكتاب فبلغ ولا الضالين قال: قل آمين فقال آمين.

وأخرج الطبراني عن وائل بن حجر قال: رأيت رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ دخل في الصلاة. فلما فرغ من فاتحة الكتاب قال آمين ثلاث مرات.

وأخرج أحمد وابن ماجة والبيهقي في سننه عن عائشة عن النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ قال: ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على التأمين.

وأخرج الطبراني في الأوسط: أن اليهود قوم حسد، لم يحسدوا

---

(١) أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة الأنصاري المدني، خادم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وله صحبة طويلة وحديث كثير. مات في سنة ثلاث وتسعين ـ انظر أسد الغابة لابن الأثير، والاصابة ١/٨٤، وتذكرة الحفاظ ١/٤٤.

(٢) أبو طلحة الأنصاري زيد بن سهل.

المسلمين على أفضل من ثلاث. رد السلام وإقامة الصفوف وقولهم خلف إمامهم في المكتوبة آمين.

وأخرج الديلمي عن أنس عن النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ: «من قرأ بسم اللّه الرحمن الرحيم ثم قرأ فاتحة الكتاب، ثم قال آمين. لم يبق في السماء ملك مقرب الا استغفر له».

ومن ذلك ندرك مقدار نعمة الإسلام على أهله، وما أصدق قوله تعالى: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك﴾ وينتقل السيوطي إلى سورة البقرة فيتحدث عن مكان نزولها وعن تسميتها وما جاء حول هذه التسمية وعن معنى الحروف التي في أولها وعن التقوى وأثرها وفضلها، ثم أخذ يفسر كل آية بما ورد في شأنها من أحاديث وآثار ومن أمثلة ذلك ما ذكره في قوله تعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾. قال: أخرج ابن المنذر عن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب قال: لما أصاب آدم الخطيئة عظم كربه واشتد ندمه فجاءه جبريل، فقال: يا آدم هل أدلك على باب توبتك الذي يتوب اللّه عليه منه؟ قال: بلى يا جبريل. قال: قم في مقامك الذي تناجي فيه ربك فمجده وامدح فليس شيء أحب الى اللّه من المدح قال فأقول ماذا يا جبريل؟ قال: فقل لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت بيده الخير كله وهو على كل شيء قدير ثم تبوء بخطيئتك فتقول: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت رب أني ظلمت نفسي وعملت السوء فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت، اللهم إني أسألك بجاه محمد عندك وكرامته عليك

أن تغفر لي خطيئتي. قال: ففعل آدم. فقال اللّه يا آدم من علمك هذا. فقال يا رب إنك لما نفخت فيّ الروح فقمت بشراً سوياً أسمع وأبصر وأعقل وأنظر رأيت على ساق عرشك مكتوباً:

بسم اللّه الرحمن الرحيم، لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له محمد رسول اللّه، فلم أر على أثر اسمك اسم ملك مقرب ولا نبي مرسل غير اسمه علمت أنه أكرم خلقك عليك. قال: صدقت وقد تبت عليك وغفرت لك خطيئتك. قال: فحمد آدم ربه وشكره وانصرف بأعظم سرور.

وقد استغرق الجزء الأول كله سورة البقرة وفي خواتيمها ذكر الخبر الآتي:

أخرج الطبراني عن ابن مسعود[1] قال: من قرأ في ليلة سورة البقرة فقد أكثر وأطاب.

وأخرج ابن عدي في الكامل: أنزل اللّه آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي عام، ومن قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزناه عن قيام الليل.

وتمضي الأجزاء الأربعة التالية في تفسير السور من آل عمران حتى نهاية سورة فصلت ويبدأ الجزء السادس وهو الأخير بتفسير سورة

(١) ابن مسعود هو: عبد اللّه بن مسعود أبو عبد الرحمن الهذلي صاحب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وخادمه وأحد السابقين الأولين، من كبار البدريني، ومن نبلاء الفقهاء المقرئين. كان ممن يتحرى في الاداء، ويشدد في الروايه، مات بالمدينة سنة اثنين وثلاثين وله نحو من ستين سنة. انظر ترجمته في: أسد الغابة ٣/٣٨٤، والاصابة ٢/٣٦٠، وتاريخ بغداد ١/١٤٧.

الشورى وينتهي بانتهاء القرآن الكريم وذكر الآثار المتعددة في تفسير قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾[1].

ومن هذه الآثار ما رواه ابن المنذر عن مجاهد: أن تتبعوني وتصدقوني وتصلوا رحمه.

ومنها قول ابن عباس ـ رضي اللّه ـ عنهما ـ: إن محمداً قال لقريش لا أسألكم من أموالكم شيئاً ولكن أسألكم أن تودني لقرابة ما بيني وبينكم فإنكم قومي وأحق من أطاعني وأجابني ولا يخفى أن هناك بعض الآثار الغريبة التي تأتي في تضاعيف ذلك الكتاب وهي مسندة إلى من رووها. وفي ذكرها فائدة للعالم ومنبهة للقارىء وحفظ للعلم وعلى نقاد الحديث مهمة تتبع هذه الآثار.

ومن ذلك ما ذكره عن قوله تعالى: ﴿يهب لمن يشاء اناثاً ويهب لمن يشاء الذكور﴾[2]. قال: أخرج عبد الرزاق عن غيلان عن أنس ـ رضي اللّه عنه ـ ابتاع أبو بكر ـ رضي اللّه عنه ـ جارية أعجمية من رجل قد كان أصابها فحملت له. فأراد أبو بكر ـ رضي اللّه عنه ـ أن يطأها فأبت عليه وأخبرت أنها حامل فرفع ذلك الى النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ فقال النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ «إنها حفظت فحفظ اللّه لها، أن أحدكم اذا شجع ذلك المشجع فليس بالخيار على اللّه، فردها على صاحبها الذي باعها».

وذكر الأخبار الواردة عن أشراط الساعة عند قوله تعالى: ﴿فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها﴾ محمد ١٨ ـ

---

(١) سورة الشورى.
(٢) الشورى، آية: ٤٩.

ومن ذلك: أخرج أحمد عن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ عن النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ قال: بين يدي الساعة قريب من ثلاثين دجالين كلهم يقول أنا نبي أنا نبي.

وأخرج أحمد: قال: «سيكون في أمتي دجالون كذابون يأتونكم ببدع من الحديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم ولا يفتنونكم»[1].

ولعمري لقد صدق سيدنا رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ فيما أخبر به. فما زلنا نسمع من أخبار هؤلاء الكذابين وظهورهم بالبدع التي يفتنون بها الناس. أعاذنا اللّه من شرهم ووقانا مكرهم وختلهم.

وتحدث عن السنة وأثرها في قوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[2].

وقد ألّف في ذلك كتاباً خاصاً اسمه مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، سيأتي له عرض إن شاء اللّه تعالى، وهو على صغر حجمه يلقم المعارضين للسنة أحجاراً.

وجاء في نهاية الجزء السادس عنوان: ذكر ما ورد في سورة الخلع وسور الحفد ويقصد بذلك القنوت الذي يقرؤه الأحناف في وتر العشاء.

وروى الخبر الآتي: قال ابن الضريس في فضائله: أخبرنا

---

(١) رواه البخاري في الفتن ٢٥، والمناقب ٢٥، ومسلم في الفتن ٨٤، وأبو داود في الملاحم ١٦، والترمذي في الفتن ٤٣، وابن ماجه في الفتن ٩، وأحمد في المسند ٣/١١٨، ٢٣٧، ٣١٣، ٣٤٩.

(٢) الحشرة، آية: ٧.

موسى بن اسماعيل أنبأنا حماد قال: قرأنا في مصعب أبي بن كعب: أللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير كله ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك. قال حماد: هذه الآي سورة وأحسبه قال: اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونعقد، نخشى عذابك ونرجو رحمتك إن عذابك بالكفار ملحق.

وأخرج ابن الضريس عن عبد الله بن الرحمن عن أبيه قال: صليت خلف عمر فلما فرغ من السورة الثانية قال: اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك.

وزعم أبو عبد الرحمن أن ابن مسعود كان يقرئهم إياها ويزعم أن رسول الله كان يقرئهم إياها.

وهذه بالطبع ليست قرآناً ولكنها دعوات كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو بها ويعلمها أصحابه، ولعل ذكرها في مصحف أبي كان من قبيل الدعاء الذي يذكر في آخر بعض طبعات المصحف ويعرف بدعاء ختم القرآن.

## ٢١ ـ دعاء ختم القرآن:

وقد ذكر السيوطي نفسه في نهاية تفسيره طرفاً من هذا الدعاء وذكر الآثار الواردة في ذلك. ومنها ما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان اذا ختم القرآن حمد الله بمحامده وهو قائم ثم يقول: الحمد لله رب العالمين الحمد الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، لا إله إلا الله وكذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً، لا

إلـه إلا اللّه وكذب المشـركون بـاللّه من العرب والمجـوس واليهـود والنصارى والصابئين ومن دعا اللّه ولداً أو صاحبة أو نـداً أو شبيهاً أو مثـلاً أو سمياً أو عـدلاً ، فأنت ربنـا أعظم من أن تتخـذ شريكـاً فيما خلقت، والحمـد للّه الذي لم يتخـذ صاحبـة ولا ولداً ولم يكن لـه شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكَبِّرْهُ تكبيراً اللّه اللّه أكبر. الحمد للّه الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير ـ يعلم ما يلج في الأرض وما يخر منها وما ينزل من السماء وما يخرج فيها وهو الرحيم الغفـور ـ الحمد للّه فاطر السمـوات والأرض جاعـل الملائكـة رسلاً أولي أجنحـة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن اللّه على كل شيء قدير ـ ما يفتح اللّه للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ، الحمد للّه وسلام على عباده الذين اصطفى اللّه خيراً ما يشركون ـ بل اللّه خير وأبقى وأحكم وأكرم وأعظم ممـا يشركون، فالحمد للّه بل أكثرهم لا يعلمون وصدق اللّه وبلغت رسله وأنـا على ذلـك من الشـاهـدين اللهم صـلِّ على جميـع المـلائكـة والمرسلين وارحم عبادك المؤمنين من أهل المسوات والأرض واختم لنـا بخير، وبـارك لنا في القـرآن العظيم وانفعنـا بـالآيـات والـذكـر الحكيم، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم.

## ٢٢ ـ ثانياً: الحديث ومتعلقاته:

ألف السيوطي في علوم الحديث مـا يزيـد على مائـة كتاب ذكـر معظمها في كتابه حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة[1].

(١) ذكر د. عبد الحكيم عتلم في بحثه عن السيوطي اذ السيوطي له مائة وثمانية

وهذه الكتب تختلف بين جمع الأحاديث وبين نقد الرجال وبين مصلح الحديث وبين رجال الحديث وغير ذلك ومن هذه الكتب:

## ٢٣ ـ ذيل طبقات الحفاظ:

وهو تلخيص لطبقات الحفاظ للذهبي المتوفى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، مع زيادة عليه من الحفاظ ورجال الأصول والمحدثين، وقد رتبه حسب الطبقات، وجعله أربعاً وعشرين طبقة بدأت بالصحابة وانتهت بالحافظ ابن حجر المتوفى سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة.

وقد طبع هذا الكتاب عدة مرات وطبع أخيراً محققاً بقلم الأستاذ علي محمد عمر.

## اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة:

وهو كتاب مهم يبين ما أضافه الوضاع الى أحاديث النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ وهو أوفى كتاب في ذلك يقول في مقدمته: جمع في ذلك الحافظ أبو الفرج الجوزي كتاباً فأكثر فيه من إخراج الضعيف الذي لم ينحط إلى رتبة الوضع، بل ومن الحسن ومن الصحيح كما نبّه على ذلك الأئمة الحفاظ ومنهم ابن الصلاح في علوم الحديث وأتباعه وطالما اختلج في ضميري انتقاؤه وانتقاده واختصاره أينتفع به مرتاده الى أن استخرت اللّه تعالى وانشرح صدري لذلك..

---

= وستون كتاباً في الحديث وعلومه ـ جلال الدين السيوطي ـ الهيئة المصرية للكتاب، ص ٣٣٣.

(١) الذهبي صاحب «التاريخ» المتوفى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة.

وكان السيوطي قد فرغ من تأليف كتابه هذا سنة خمس وسبعين وثمانمائة ثم بدا له بعد ذلك إضافة تعقيبات أخرى والحاق موضوعات كثيرة فاتت ابن الجوزي فأنشأ الكتاب على نهج جديد وأطلق على الكتاب الأول: الموضوعات الصغرى، وأطلق على الكتاب الأخير: الموضوعات الكبرى وعليه الاعتماد.

وقد طبع الكتاب عدة مرات والنسخة التي بين يدي الآن طبعت على نفقة المكتبة الحسينية المصرية بالأزهر وبمراجعة الشيخ أحمد بن محمد بن الصديق المغربي الحسن أحد علماء الحديث.

وهذا الكتاب شهادة للسيوطي بحسن درايته في الحديث تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك:

وله كتاب آخر في هذا الموضوع اسمه: كشف المغطى برجال الموطا وكتاب آخر اسمه: اسعاف المبطا برجال الموطا.

## تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي:

وهو كتاب متوسط الحجم يعده العلماء مقياساً لقواعد الحديث وأصوله وتدريباً للقراء على درجة الحديث من الصحة والحسن والضعف وغير ذلك.

## التوشيح على الجامع الصحيح:

والمقصود بالجامع الصحيح هو صحيح البخاري. وله أربعون حديث في قواعد الأحكام الشرعية وفضائل الأعمال والزهد: وله في أعراب الحديث كتاب يسمى بعقود الزبرجد على مسند الامام أحمد،

في ثلاثة أجزاء وله الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج.

ومرقاة الصعود الى سنن أبي داود.

وشرح ابن ماجة، وشرح ألفية العراقي وغيرها من الكتب التي تدور حول المسانيد وجمع الأحاديث.

وله من الكتب المطبوعة ـ عدا المخطوطات ـ كتب كثيرة تتزين بها دور الكتب المختلفة في شتى الديار وفي فهارس الهيئة المصرية العامة للكتاب عدد وفير منها، فمن ذلك ألفية السيوطي في الحديث جاء فيها:

وهذه ألفية تحكي الدرر منظومة ضمتها علم الأثر
فائقة ألفية العراقي في الجمع والإيجاز واتساق
نظم بديع الوصف سهل حلو ليس به تعقد أو حشو
فاعن بها بالحفظ والتفهيم وخصها بالفضل والتقديم

وبراعة السيوطي في الحديث تعود الى تعلقه به منذ نشأته وإلى كثرة حفظه وإلى شيوخه الذين أخذ عنهم.

وقد كان يلي تدريس الحديث بالمدرسة الشيخونية وكان أول درس ألقاه هو شرح الحديث المروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ احفظ الله يحفظك.

## نبوغ كثير من الحفاظ في مصر:

وقد نبغ في مصر من رجال الحديث ورواته عدد كبير، وحين حج السيوطي شرب من زمزم على ذية أن يصل في الحديث إلى درجة ابن

حجر صاحب فتح الباري في شرح البخاري وقد استجاب اللّه دعوته فنبغ في الحديث كما نبغ في غيره.

وقد قيّض الله للحديث من يحفظه منذ تلقاه الصحابة ـ رضوان اللّه عليهم ـ من النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ كانوا يتعهدون حفظه وروايته وبعضهم كان يكتبه كعبد اللّه بن عمرو بن العاصي الذي كانت له صحيفة تسمى الصادقة روى البخاري في صحيحه وأبو داود في سننه عن عبد اللّه بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه عن رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ أريد حفظه، فنهتني قريش وقالوا: كيف تكتب كل شيء تسمعه من رسول اللّه ـ ورسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة «فذكرت ذلك لرسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ فأومأ باصبعه الى فيه فقال: اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه الا حق.

ومما يروى في الحث على الكتابة ما يرويه ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم، عن أنس بن مالك ـ رضي اللّه عنه ـ قال: قال رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ : «قيدوا العلم بالكتاب»[1] وقد منح اللّه الصحابة ـ رضوان اللّه عليهم ـ قلوباً واعية وحوافظ قوية أعانتهم على حفظ ما يسمعون وتأديته سليماً صحيحاً خالياً من الخطأ والتعريف وتخصص منهم قوم في ذلك كأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وغيرهما ممن اشتهروا بكثرة الرواية. وبدأ تدوين السنة رسمياً في عهد عمر بن عبد العزيز ـ وهذا من حسناته ـ الذي كتب الى

---

(١) المنتخب من السنة، جـ ١، ص ١٠، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية.

الآفـاق: انـظروا الى حـديث رسـول اللّه ـ صلى اللّه عليـه وسلم ـ فاجمعوه.

فتوفر الأئمة والعلماء على ذلك وأخذت السنة طريقها إلى التدوين والتبويب ولعل أول جامع منظم هو موطأ الإمام مالك وصحبه تدوين أبي يوسف صاحب أبي حنيفة لكتاب الآثار، وتدوين محمد صاحبه كذلك.

وكـان الجمع قبـل ذلك أبـواباً مختلفـة لا يجمعها كتـاب واحد وصدقت كلمة الشافعي ـ رضي اللّه عنه ـ حين قال: اذا ذكر الحديث فمـالك نجمـه اللامـع، وتتابـع العلماء بعـد ذلك يجمعـون السنـة ويحصونها ويتحرون الدقة والصحة فـدوّن أحمد مسنـده ودوّن غيره كذلك حتى نشأت الموسوعات التي شملت أحاديث الرسول ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ كصحيح البخـاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وغيرهم.

ولم يكتف العلماء بتدوين السنة ولكنهم أتبعوا ذلك بتأليف الكتب في النقد ومعرفة الصحيح من غيره والقوي من الضعيف فنشأ بجانب ذلك علم يسمى بمصطلح الحديث كما اعتنوا بتأليف طبقات الحفاظ والمحدثين. قال ابن خلدون: «ومعرفة الناسخ من المنسوخ من أهم علوم الحديث وأصعبها قال الزهري أعيا الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ من منسوخـه وكان للشـافعي ـ رضي اللّه عنـه ـ فيـه قـدم راسخـة ومن علوم الحـديث النظري في الأسانيد ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بوقـوعه على السند الكامل لأن العمل إنما وجب بما يغلب على الظن صدقه

من أخبار الرسول ـ صلى اللّه عليه وسلم[1].

وقد كان السيوطي ـ رحمه اللّه ـ إماماً في هذه الناحية جمع السنة ونقد المروي منها وله فيها مؤلفات جمة أشرنا إلى بعضها ونقدم منها للقارىء الكريم كتابين:

## ١ ـ جمع الجوامع في السنة:

هذا السفر ـ كما يقول د. محمد عبد الرحمن البيصار ـ يعد بحق نموذجاً فريداً في جمع السنة واستيعاب ما ورد من الأحاديث على اختلاف مراتبها وتباين درجاتها من الصحة والحسن وغير ذلك من مراتب الحديث كالضعيف والقريب والعزيز والمرسل والمنقطع على صورة من الترتيب الميسر.

وقد حرص الامام السيوطي ـ رضي عنه وطيب ثراه ـ على أن يجمع كل ما تصل إليه يده من أحاديث الرسول ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ وسننه جمعاً مرتباً على قسمين:

الأول: قسم الأقوال مرتباً على حسب حروف المعجم.

الثاني: قسم الأفعال مرتباً على حسب المسانيد.

وهذا العمل الجليل الذي قام به الامام السيوطي في عصره منذ خمسة قرون يعد أكبر خدمة للسنة. ويعتبر إحياؤه إحياء لتراث اسلامي أصيل، لأنه خطوة مباركة تتبعها خطوات ليتحقق انجاز موسوعة السنة التي أوصى بها المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية.

---

(١) المقدمة ص ٤٤١.

ولقد كفانا الامام السيوطي منوتة هذا العمل وذلله لنا حتى نسير على نهجه ونزيد عليه في عمل الموسوعة الحديثية كل ما نعثر عليه في مراجع الحديث وأصوله، مما لم يصل اليه الامام السيوطي[1].

ويعتبر طبع جمع الجوامع حسنة من حسنات هذا العصر الذي نعيش فيه ولفتة كريمة لمجمع البحوث الإسلامية.

وقال الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر اذ ذاك الجامع الكبير للامام السيوطي من الأعمال العلمية الشامخة انه هذه الذرا والقمم التي يندر أو توجد. لقد حاول الامام السيوطي أن يجمع الأحاديث أولاً مرتّبة بحسب الحروف الأبجدية ويكفي أن تعرف أول كلمة في الحديث الشريف ليسهل عليك الكشف عليه وحينما ييسر لك الكشف على الحديث تتاح لك الفرصة لمعرفة ألفاظه في يقين وتتاح لك الفرصة لمعرفة الكتاب الذي رواه وتتاح لك الفرصة لمعرفة درجته من الصحة أو الحسن أو الضعف وهذا القسم وحده يضم عشرات الآلاف من أحاديث الرسول ـ صلى اللّه عليه وسلم، يكاد يتضمن جميع الأحاديث. ومع ذلك فإن الامام السيوطي ـ رضي اللّه عنه ـ وجزاه اللّه خير الجزاء على ما قدم من خير قد جعل القسم الثاني من الكتاب في الأحاديث الشريفة يحسب المسانيد في متناول الباحثين كما جعل القسم الأول من السنن القولية كذلك.

والامام السيوطي لم يلتزم ولم يقل ولم يشر في كتابه الى أنه التزم الصحة أو التزم الحسن وإنما أعلن أن عمله قام على جمع السنة مرتبة

---

(١) مقدمة جمع الجوامع ـ مجمع البحوث الإسلامية.

أبجدياً ومرتبة مسانيد، وليس لأحد أن ينتقده بأنه لم يلتزم الصحة أو الحسن.

والامام عبد الحليم محمود ـ رحمه اللّه ـ يرد بذلك على من حاولوا أن ينقصوا من قدر هذا الكتاب ويشككوا فيه وينتقدوا مجمع البحوث الإسلامية في نشره ـ وكانت قد دارت على صفحات المجلات مناقشات حول هذا الموضوع. ثم قال الدكتور عبد الحليم محمود: لقد كان هدف السيوطي خدمة السنة. وقد خدمها عن طريق حصرها والاحاطة بها، وقد حقق هذا الهدف وحده وهذا العمل الذي قام به ليس بوسع جهود متضافرة أن تقوم به.

وللإجابة على من قال: بأنه من الضروري تنقية الكتاب من الاحاديث الضعيفة أو الاختيار منه قال الدكتور عبد الحليم محمود ـ رحمه اللّه ـ : انه لو حاولنا الاختيار لما تيسر عمل الموسوعة وليس من شرط الموسوعة أن تكون خالية من الضعيف ولو التزمنا الاختيار لما تيسر لنا اتمام شيء لتفاوت العقول والطبائع والفطر هذا إلى أن صحة الاسناد سيجدها القارىء مبينة بتعليقات لجنة تحقيق الكتاب...

وقد نشرت لجنة التحقيق في مقدمة الكتاب منهجاً التزمته وأوضحت فيه طريقتها كتببين درجة الحديث والسيوطي نفسه وضع رموزاً تشير الى مصدر الحديث الذي أخذه منه وبين درجات هذه المصادر من القوة والضعف.

قال صاحب كشف الظنون: قصد السيوطي بكتابه استيعاب الأحاديث النبوية وقسمه قسمين: الأول ساق فيه لفظ الحديث بنصه

يذكر فيه من خرجه ومن رواه من واحد إلى عشرة أو أكثر يعرف فيه حال الحديث من حيث الصحة والحسن والضعف والثاني الاحاديث الفعلية المحضة أو المشتملة على قول وفعل أو سبب أو مراجعة ونحو ذلك مرتب على مسانيد الصحابة قدم العشرة ثم بالباقي على حروف المعجم في الأسماء ثم بالكف ثم بالمبهمات ثم بالنساء ثم بالمراسيل وطالع لأجله كتباً كثيرة.

وللدلالة على أن السيوطي كان يعتني في كتابه بيان درجة الحديث نذكر المثال الآتي:

«ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً» خ، م عن أبي هريرة.

فحرف خ رمز للبخاري، وحرف م رمز لمسلم فالحديث مذكور في الصحيحين وهذا يبين درجته...

«ما من ورقة من ورق الهندباء إلا وعليها قطرة من ماء الجنة» طب:

قال ابن كثير: منكر جداً، وقال ابن دجية: موضوع[1].

وطب رمز للطبراني في الكبير. وهو في هذا الحديث لم يكتف بذكر رمز المصدر ولكنه أتبعه برأي علماء الحديث فيه.

لقد كان السيوطي ـ كما يقول د. عبد اللّه شحاتة ـ من أحفظ الناس لحديث رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ فقد كان يحفظ مائتي ألف حديث، وقيل ثلثمائة ألف حديث وقال: لو وجدت أكثر

---

(١) جمع الجوامع، جـ٣، ص ٢٩٤٥، حديث رقم ١١٦٥ ـ ١٩٥٣٧.

لحفظته، ولعله لا يوجد على وجه الأرض الآن أكثر من ذلك وكان مراد السيوطي جمع هذه الأحاديث كلها في الجامع الكبير المسمى جمع الجوامع لكنه مات قبل أن يكمله، يقول المتقي الهندي في مقدمة كتابه كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: إني قد وقفت على كثير مما دونه الأئمة في كتب الحديث فلم أر فيها أكثر جمعاً ولا أكثر نفعاً من كتاب جمع الجوامع الذي ألّفه العلامة السيوطي ـ سقى اللّه ثراه وجعل الجنة مثواه ـ حيث جمع فيه من الأصول الستة: البخاري ومسلم وجامع الترمذي وسنن أبي داوود وسنن النسائي وسنن ابن ماجة، وغيرها وأودع فيه من الاحاديث ألوفاً ومن الآثار صنوفاً، فأجاد فيه كل الاجادة مع كثرة الجدوى وحسن الإفادة.

وقد رجع السيوطي في كتابه هذا إلى كتب لا حصر لها وأثبتها في سجل وقال: هذه تذكرة مباركة بأسماء الكتب التي انتهيت من مطالعتها على تأليف جمع الجوامع خشية أن تهجم المنية قبل تمامه على الوجه الذي قصدته، فيقيض اللّه من يزيل عليه فإذا عرف لما انتهت مطالعته استغنى عن مراجعته ونظر ما سواه.

وقد قام العلامة الهندي علاء الدين علي بن حسام الدين الشهير بالمتقي المتوفى سنة خمس وسبعين وتسعمائة بترتيب هذا الكتاب الكبير كما رتب الجامع الصغير وسماه كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال.

ولكنه وجد الباحث تكتنفه صعوبة في معرفة الحديث ذلك أنه لا يمكن له كشف الحديث إلا إذا حفظ رأسه إن كان قولياً أو راوية إن كان فعلياً فعاد وبوّب أولاً كتاب الجامع الصغير وزوائده وسماه منهج العمال في سنن الأقوال ثم بوب قسم الأفعال من جمع الجوامع

وسماه مستدرك الأقوال ثم جمع الجمع في ترتيب كترتيب جامع الأصول وسماه كنز العمال ثم انتخبه ولخصه فصار كتاباً حافلاً في أربعة مجلدات[1].

هذا وللسيوطي جوامع ثلاثة: الجامع الصغير يحتوي على أحد عشر ألف حديث قال عنه د. عبد الله شحاته: اختصر السيوطي الجامع الكبير في كتابه الجامع الصغير واختار أقوى الأحاديث وأوجزها ويقول السيوطي في مقدمته: هذا الكتاب أودعت فيه من الكلم النبوية ألوفاً، ومن الحكم المصطفوية صنوفاً اقتصرت فيه على الأحاديث الوجيزة، ولخصت فيه من معادن الأثر أبريزة وبالغت في تحرير التخريج فتركت القشر وأخذت اللباب وصنته عما تفرد به وضاع أو كذاب ففاق بذلك الكتب المؤلفة في هذا النوع كالفائق والشهاب وحوى من نفائس الصناعة الحديثية ما لم يودع قبله في كتاب ورتبته على حروف المعجم مراعياً أول الحديث فما بعده تسهيلاً على الطلاب وسميته الجامع الصغير من حديث البشير النذير لأنه مقتضب من الكتاب الذي سميته جمع الجوامع وقصدت فيه جمع الأحاديث النبوية بأسرها.

ثم أنه بعد أن أنجز الجامع الصغير ألحق به زيادات أخرى في مؤلف مستقل وسماه زوائد الجوامع وهذه الزيادة تضم أربعة آلاف وأربعمائة وأربعين حديث.

فهذه الجوامع الثلاثة هي: الجامع الصغير، الجامع الكبير، زوائد الجوامع.

---

(١) مجلة منبر الاسلام ـ جمادي الأخرة ١٤٧ هـ.

فانظر إلى هذا التراث الضخم كيف تمكن هذا العالم الجليل وحده من ضبطه وجمعه. لقد عرف العلماء المحققون قيمة هذا العمل وأشادوا به وهذا هو السيد محمد بن عبد الحي الكتاني يقول في فهرس الفهارس بَعد أن ذكر مؤلفات السيوطي: ومن أهم هذه الكتب وأعظمها وهو من أكبر منته على المسلمين كتاب الجامع الصغير وأكبر منه وأوسع الجامع الكبير، جمع فيهما عدة آلاف من الأحاديث النبوية مرتبة على حروف المعجم وهما المعجم الوحيد الآن المتداول بين المسلمين الذين يعرفون به أحاديث نبيهم ومخرجيها ومظانها ومرتبتها في الجملة وقل من رأيته أنصف من الكاتبين اليوم وعرف مزية المترجم بكتابيه هذين ومنته على المسلمين، وقد قال الشيخ صالح المقبلي في كتابه العلم الشامخ بعد أن استغرب أنه لم يتصد أحد لجمع الأحاديث النبوية على الوجه المقرب: لعلها مكرمة ادخرها اللّه لبعض المتأخرين وإذ اللّه قد أكرم بذلك وأهل له من لم يكد يرى مثله في مثل ذلك الإمام السيوطي في كتابه المسمى بالجامع الكبير ومن لم يعرف للجامعين قيمة اذا بلي بالبحث عن حديث ضلت به الخطى وعميت عينه عن المطلوب وبقي في وادي الجهل والقصور يهيم ودين على الأمة أن يخرج هذا الكتاب.

ودين عليها أيضاً أن نحقق أمل السيوطي في تكملة عمله فإنه رحمه اللّه لم يستوعب كل ما وصل من سنة رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ في جامعه الكبير.

وعلى الغيورين من أهل العلم أن يبحثوا في المخطوطات المختلفة والنادرة في المكتبات الخاصة والعامة في العلم. لعل اللّه

أن يحقق بهم النفع ويجزل على أيديهم الخير. ولا يغفل هؤلاء أن أتبع لهم ذلك ـ عن هذه الآثار التي رواها السيوطي في مقدمة كتابه.

روى ابن عساكر في تاريخه عن أبي العباس المرادي قال: رأيت أبا زرعة في النوم فقلت: ماذا فعل اللّه بك؟ قال: لقيت ربي فقال لي: أبا زرعة إني أوتي بالطفل فأمر به الى الجنة فكيف بمن حفظ السنن على عبادي؟ تبوأ من الجنة حيث شئت. وروى أيضاً عن حفص بن عبد اللّه قال: رأيت أبا زرعة في النوم بعد موته يصلي في سماء الدنيا بالملائكة. قلت: بم نلت هذا؟ قال: كتبت بيدي ألف ألف حديث أقول فيها: عن النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ وقد قال النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ من صلى علي صلاة صلى اللّه بها عليه عشر[1]. ونقول: لقد نال السيوطي بحفاظه على السنة منزلة سنية ولقد رئي في المنام والنبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ يقول له: هات يا شيخ السنة. وحكي عنه أنه قال: رأيت في المنام كأني بين يدي النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ فذكرت له كتاباً شرعت في تأليفه في الحديث وهو جمع الجوامع فقلت له: أقرأ عليكم شيئاً منه؟ فقال لي: هات يا شيخ الحديث. قال: هذه البشرى عندي أعظم من الدنيا بحذافيرها[2].

---

(١) أبو زرعة هو ولي الدين أحمد بن الحافظ أبي الفضل العراقي الامام العلامة الحافظ الفقيه ولد سنة ٧٦٢ هـ وتخرج على يد والده وغيره وله كتب نافعة منها شرح البهجة وشرح تقريب الاسانيد وشرح جمع الجوامع في الأصلين وأملى أكثر من ستمائة مجلس وولي قضاء الديار المصرية، توفي سنة ٨٢٦ هـ، حسن المحاضرة، جـ ١، ص ١٥٣.

(٢) النور السافر من أخبار القرن العاشر، ص ٥٤.

## ٢ ـ كتاب مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة:

هو كتاب صغير الحجم ولكنه عظيم الفائدة وكان السيوطي بتأليفه استشف حجب الغيب فرأى ما ظهر في أيامنا هذه من جماعات ترفض السنة وتنادي بصوتها المنكر بأنه لا شيء سوى القرآن ولقد صدق في هؤلاء قوله ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ فيما يرويه المقدام بن معد يكرب.

«يوشك أن يقعد الرجل على أريكته يحدث بحديثي فيقول: بيني وبينكم كتاب اللّه فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه وما وجدنا فيه حراماً حرمناه. ألا وإن ما حرم رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ مثل ما حرم اللّه.

وما أورده البيهقي من حديث أبي رافع قال: قال رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ: لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه يقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب اللّه أتبعنا. أخرجه أبو داود والحاكم.

ولا ينكر منكر السنة إلا وقد أنكر القرآن قبل أن ينكر السنة ذلك أن القرآن أمر بطاعة الرسول ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ كما أمر بطاعة اللّه. ودعا إلى اتباع النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ في كل ما يأمر وينهي قال تعالى ﴿من يطع الرسول فقد أطاع اللّه﴾ (النساء ٨)، وقال: ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ وقال: ﴿قل ان كنتم تحبون اللّه فاتبعوني يحببكم اللّه﴾ ولا يجهلن مؤمن منزلة السنة من الدين وهي تبليغ النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ الذي بلغ به رسالة رب استجابة لقوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك

من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ والسنة تتناول أقوال النبي - صلى اللّه عليه وسلم - وأفعاله وتقريراته وقد أمر اللّه سبحانه وتعالى رسوله أن يبين للناس القرآن ﴿وأنزلنا إليك الكتاب لتبين للناس ما نزل اليهم﴾ ومهمة الرسول - صلى اللّه عليه وسلم - كلها تدور حول هذه الغاية التي أرسل من أجلها فلم يكن ليقصر فيها أو يهمل شأنها ولو اقتصر الدين على القرآن لما كان هناك معنى لبعث الرسول وجهاده وبيانه وأحكامه وأخلاقه التي أمرنا أن نقتدي بها في قوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول اللّه أسوة حسنة لمن كان يرجو اللّه واليوم الآخر وذكر اللّه كثيراً﴾.

فكيف نتأمى به ونهمل سنته؟ وقد قال اللّه تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما﴾.

ولا يقال أن ذلك كان خاصاً بالقضايا التي فصل فيها في حياته فإن هناك من القضايا المتشابهة التي جدّت بعد وهناك من الأمور التي سوف تجد ترى لها في السنة حكماً فاصلاً وقولاً صادقاً يجب الأخذ به وتطبيقه وهذا هو ما شغل به الصحابة أنفسهم بعد رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - فقد كانوا يطبقون أحكامه ويتبعون أقواله وينفذونها حتى لقد التزم أبو بكر - رضي اللّه عنه - منهجاً خلاصته هذه العبادة؛ ﴿انما أنا متبع ولست بمتبوع﴾ ولولا تمسكه بسنة النبي - صلى اللّه عليه وسلم - لما أنفذ جيش أسامة أو كان قد غيّر قائده على الاقل وقد كانت له مندوحة لو أراد ولكنه أدرك أن النبي - صلى اللّه عليه وسلم - لا يبرم أمراً الا وفيه مصلحة المسلمين العليا ولا يصدر حكماً إلا وهو مستمد من السماء وصدق اللّه العظيم اذ يقول: ﴿وما ينطق عن الهوى

ان هو إلا وحي يوحي﴾ ـ أجل إن القرآن هو المصدر الأول للتشريع ولكن السنة هي المفصلة والموضعة هي الشارحة والمبنية ولقد كان القرآن يأتي مجملاً، كأمره بالصلاة والزكاة مثلاً . . . وجاء النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ ليقول للناس: صلوا كما رأيتموني أصلي ـ ويقول لمن حج معه: خذوا عني مناسككم هكذا.

ومن أجل هذا عُنيَ المسلمون الأوائل بمعرفة أقوال النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ وأفعاله وتقريراته، فإذا جد لهم أمر بحثوا في كتاب اللّه عن حكمه فإن لم يجدوا اتجهوا إلى السنة يبحثون فيها فإن وجدوا طلبتهم فيها ونعمت وإن لم يجدوا ما يبتغون تعرفوا الحكم من مقاصد الشريعة العامة ومصادرها ومواردها الغامضة واجتهدوا في ضوء ذلك حتى قال أبو بكر رضي اللّه عنه أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا لم آخذ بقول رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم».

وقد كان النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ يدعو أصحابه إلى وعي حديثه وحفظه وتأديته صحيحاً وحذر من الكذب عليه وقال في ذلك ـ فيما يرويه البيهقي ـ ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب. وما يرويه: نضر اللّه امرءاً سمع مني حديثاً فأدَّاه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع وقال: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعد من النار»[1].

كان السيوطي بتأليفه هذا الكتاب كأنه يستشف الغيب اذن ويعطي

---

(١) رواه البخاري في العلم ٣٨، والخبائز ٣٣، والأنبياء ٥٠، والأدب ١٠٩، ومسلم في الزهد ٧٢، وأبو داود في العلم ٤، والترمذي في الفتن ٧٠، والعلم ٨، ١٣، والتفسير ١، والمناقب ١٩، وابن ماجة في المقدمة ٢٤، والدارمي في المقدمة ٢٥، ٢٦، وأحمد في المسند ٢/ ٤٧، ٨٣، ١٢٣، ١٥٠، ١٥٩.

بعد وفاته بخمسة قرون للمسلمين سلاحاً يردون به عوادي الاعتداء على السنة والطعن فيها وترانا الآن ننصح القراء باقتناء هذا الكتاب ودراسته والحرص عليه وفهمه جيداً حتى يمكنهم أن يفندوا حجج هؤلاء المغتربين الذين أغراهم شيطانهم بأن يشقوا عصا المسلمين ويحدثوا في صفوفهم خرقاً آخر كأن الخروق الكثيرة المتعددة لم تعد كافية.

## ٢٦ ـ موضوعات الكتاب:

على غير عادة الكتب دخل السيوطي في كتابه مباشرة دون مقدمة، واكتفى في ذلك بالبسملة والتحميد والصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم.

ثم وجه خطابه للمسلمين محذراً لهم من الافتتان بأقوال الرافضة والزنادقة الذين ظهرت منهم بدعة عدم الاحتجاج بالسنة ويبدو أن هذا الأمر شغل بال السيوطي فلم يشأ أن يضع وقتاً بكتابة مقدمة.

وتحدث في كتابه هذا الذي هو عبارة عن موضوع واحد وخاتمة عن نقاط متعددة نشير إليها فيما يأتي:

١ ـ رأي الزنادقة والرافضة في السنة. وقد احتجوا بحديث طعن المختصون في صحته وهو «ما جاءكم عني من حديث فاعرضوه على القرآن فإن وجدتم له أصلاً فخذوه وإلا فردوه» وهذا الحديث عقد البيهقي باباً في بطلانه. وقال الشافعي: ما روى هذا الحديث أحد يثبت حديثه في شيء صغير ولا كبير، وإنما هي رواية متواضعة عن رجل مجهول.

وقال البيهقي روي هذا الحديث بطرق مختلفة من أوجه كلها ضعيفة وأمثل إسناد روي في هذا المعنى ما رواه ربيعة عن عبد الملك بن سعيد بن سوبر عن أبي حميد أو أبي أسيد قال: قال رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ : إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم ببعد فأنا أبعدكم منه».

ذلك أن حديث رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ يخاطب الفطرة الصافية الصادقة ويلتقي معها، وهو قريب من العقول موافق للأصول لا ينكره عقل من عقل عن اللّه الموضع الذي وضع به رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ من دينه وما افترض على الناس من طاعته، ولا ينفر منه قلب من اعتقد تصديقه فيما قال وأتباعه فيما حكم به وكما هو جميل حسن من حيث الشرع جميل في الأخلاق حسن عند أولي الألباب.

٢ ـ نقل السيوطي كلام الشافعي الذي يحتج فيه للسنة ويبين مكانة النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ عند ربه وكيف وضع اللّه رسوله ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ من دينه وفرضه وكتابه الموضع العظيم. حيث جعله علماً لدينه بما افترض من طاعته وحرم من معصيته وأبان من فضيلته وقرن بينه وبينه في الإيمان به وذكر السيوطي آيات متعددة في ذلك.

٣ ـ احتج السيوطي بكلامُ البيهقي في حجية السنة حيث يقول: ولولا ثبوت الحجة بالسنة لما قال ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ في خطبته

بعد تعليم من شهده أمر دينهم: ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع.

وفي ذلك يقول الشافعي: فلما ندب رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها دل على أنه لا يأمر أن يؤدي عنه إلا من تقوم به الحجة على من أدى اليه، لأنه إنما يؤدي عنه حلال يؤتى وحرام يجتنب وحد يقام ومال يؤخذ ويعطى ونصيحة في دين ودين.

٤ ـ ثم ناقش المبتدعين الذين يزعمون أن القرآن لم يترك شيئاً واستشهد بحديث البيهقي بسنده عن شبيب بن أبي فضالة: أن عمران[١] بن الحصين ـ رضي اللّه عنه ـ ذكر الشفاعة فقال رجل من القوم: يا أبا نجيد إنكم تحدثونا بأحاديث لم نجد لها أصلاً في القرآن، فغضب عمران وقال للرجل: قرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعاً ووجدت المغرب ثلاثاً والغداة ركعتين والظهر أربعاً والعصر أربعاً؟ قال: لا. قال: فعمن أخذتم ذلك؟ ألستم عنا أخذتموه وأخذناه عن رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ؟ أوجدتم فيه من كل أربعين شاة وفي كل كذا بعيراً وفي كل كذا درهماً كذا؟ قال: لا. قال: فعمن أخذتم ذلك؟ ألستم عنا أخذتموه وأخذنا عن النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ؟ قال: أوجدتم

(١) عمران بن الحصين بن عبيد بن خلف الخزاعي أبو نجد بضم النون أسلم أيام خيبر له مائة وثلاثون حديثاً، اتفقا على ثمانية وانفرد البخاري بأربعة ومسلم بتسعة وكان من علماء الصحابة وعنه ابنه محمد والحسن، وكانت الملائكة تسلم عليه وهو ممن اعتزل الفتنة، مات سنة اثنتين وخمسين. (خلاصة تذهيب الكمال ص ٢٩٥).

في القرآن وليطوفوا بالبيت العتيق ـ أوجدتم فيه طوفوا سبعاً واركعوا ركعتين خلف المقام؟ أوجدتم في القرآن لا جلب ولا جنب ولا شغار في الاسلام؟ أما سمعتم اللّه قال في كتابه: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا— قال عمران: فقد أخذنا عن رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ أشياء ليس لكم علم بها.

٥ ـ وأثبت بطلان الحديث الذي احتج به الرافضة بنفس حجتهم فليس في القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن مع أن القرآن يأمر بأن يتعلم المسلمون من النبي الحكمة، والحكمة هي السنة وذكر من الأحاديث التي رواها البيهقي ما يدل على أن النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ أوتي القرآن ومثله معه. وغير ذلك من الأحاديث التي رواها أبو داود والحاكم وابن ماجة[1] وغيرها من كتب الصحاح. ومن ذلك ما أخرج عن العرباض بن سارية قال: صلى بنا رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال القائل: يا رسول اللّه كأنها موعظة مودعة فماذا تعهد الينا؟ قال: أوصيكم بتقوى اللّه والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة، فإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنني وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

---

(١) ابن ماجه هو: أبو عبد اللّه محمد بن يزيد الربعي مولاهم، القزويني الحافظ. صاحب «كتاب السنن» و«التفسير». مات سنة ثلاث وثمانين ومائتين. (تاريخ قزوين للرافعي ١٦٥، والرسالة المستطرفة للكتاني ١٢، والمقفى ٣ ورقة ٢٢).

٦ ـ أوضح السيوطي أن من كان همه إحياء السنة فقد رشد وذكر في ذلك حديث عن ابن عمرو قال: قال النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ: «ان لكل عمل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك». والشرة هي النشاط والرغبة، والفترة هي السكون والتقليل. وللسنة وجوه ثلاثة:

أحدها ما أنزل اللّه فيه نص كتاب فسنّ رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ بمثل نص الكتاب.

ثانياً: ما أنزل اللّه فيه جملة كتاب فبين عن اللّه معنى ما أراد بالجملة وأوضح كيف فرضها عاماً أو خاصاً، وكيف أراد أن يأتي به العباد.

ثالثاً: ما سن رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ مما ليس فيه نص كتاب.

٧ ـ وكان النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ يقضي أحياناً بقضاء ينزل القرآن بغيره فلا يرد القضاء الأول، وقد حكم مرة على زان بالجلد والتغريب، وليس في كتاب اللّه التغريب.

والسنة كان يتلقاها النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ كما يتلقى القرآن. أخرج البيهقي بسنده: كان جبريل عليه السلام ـ ينزل على رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ بالسنة كما ينزل بالقرآن يعلمه إياها كما يعلمه القرآن. وأخرج ذلك الدرامي أيضاً. وحين طالب الصحابة منه مرة أن يسعر لهم ـ في عام مجدب ـ فقال: لا يسألني اللّه عن سنة أحدثتها فيكم لم يأمرني بها ولكن اسألوا اللّه من فضله. وفي ذلك دلالة على أنه كان لا يعمل شيئاً من تلقاء نفسه، وصدق اللّه

تعالى اذ يقول: ﴿وما ينطبق عن الهوى﴾[1].

إن طاعة اللّه في طاعة رسوله، واللّه هو الذي يقول: ﴿إن الذين يبايعونك انما يبايعون اللّه﴾[2].

وقال النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ : «من أطاعني فقد أطاع اللّه ومن عصاني فقد عصا اللّه»[3] أخرجه الشيخان[4] عن أبي هريرة، وأخرج البخاري عن جابر[5] بن عبد اللّه من حديث أوله جاءت الملائكة إلى نبي اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم . . . وآخره فقالوا: فمن أطاع محمداً ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ فقد أطاع اللّه ومن عصا محمداً ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ فقد عصا اللّه. ومحمد ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ فرق بين الناس.

وفسر السيوطي عن البيهقي معنى قوله تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه الى اللّه والرسول»[6] ـ قال: الرد إلى اللّه إلى كتاباته والرد إلى الرسول بعد قبضه إلى سننه.

---

(١) سورة النجم، آية: ٣.

(٢) سورة الفتح، آية: ١٠.

(٣) رواه البخاري في الجهاد ١٠٩، والاعتصام ٢، والأحكام ١، ومسلم في الإمارة ٣٢، ٣٣، والنسائي في البيعة ٢٧، وابن ماجة في المقدمة ١، والجهاد ٢٩، وأحمد في السمند ٢/٩٣، ٢٤٤، ٢٤٤، ٢٥٢، ٢٧٠، ٣١٣.

(٤) الشيخان هما الإمام البخاري والإمام مسلم صاحبا «الصحيحين».

(٥) جابر بن عبد اللّه أبو عبد اللّه الأنصاري الفقيه مفتي المدينة في زمانه ـ حمل عن النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ علماً كثيراً نافعاً. توفي سنة ثمان وسبعين. له ترجمة في: (أسد الغابة ١/٣٠٧).

(٦) النساء، آية: ٥٩.

٨ ـ والسنة جاءت مبينة للقرآن وشرح له، قال تعالى: ﴿لتبين للناس ما نزل اليهم﴾[١] وقد ألف ابن برجان كتاباً في معاضدة السنة للقرآن وأخرج الشافعي والبيهقي عن طريق طاووس أن النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ قال: «إني لا أحل إلا ما أحل اللّه في كتابه ولا أحرم إلا ما حرم اللّه في كتابه»[٢].

وكان الصحابة يرجعون إلى سنة رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ فيما لا نص من القرآن فيه وكانوا يهتمون بالسنة وتتبعها وتحريها وكان ابن عمر يتبع آثار رسول اللّه وحاله ويهتم بذلك اهتماماً كبيراً وكانوا يرون من الفروض التي تجب عليهم تبليغ السنة امتثالاً لأمر النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ : «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عني ولا تكذبوا علي»[٣] ـ أخرجه البخاري[٤]. وكان المسلمون الأولون يتكبدون المشاق الطوال في طلب الحديث وسماعه وقد سأل رجل الشافعي[٥] يوماً عن الحجة في دين اللّه فقال له: كتاب اللّه وسنة

---

(١) النحل، آية: ٤٤.

(٢) رواه الترمذي في اللباس ٦، وابن ماجة في الأطعمة ٦٠.

(٣) رواه البخاري في الأنبياء ٥٠، والترمذي في العلم ١٣، والدارمي في المقدمة ٤٦، وأحمد في المسند ٢/١٥٩، ٢٠٢، ٢١٤.

(٤) البخاري هو: أبو عبد اللّه محمد بن اسماعيل بن المغيرة الجعفي مولاهم. الحافظ العلم، صاحب «الصحيح» وإمام هذا الشأن. مات ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين. (طبقات الحنابلة ١/٢٧، النجوم الزاهرة لابن تغردي بردي ٤/٢٥، وهدية العارفين ٢/١٦).

(٥) الشافعي هو: أبو عبد اللّه بن إدريس بن العباس المطلبي بن عبد مناف القرشي المطلبي المكي. نزيل مصر، إمام الأئمة، وقدوة الأمة. مات سنة إحدى عشرة ومائتين. (ارشاد الأريب ٦/٣٧٦، والأنس الجليل ١/٢٩٤، وتاريخ الخمسين ٢/٣٣٥، وترتيب المدارك ٢/٣٨٢، وتهذيب الأسماء =

رسوله واتفاق الأمة، فسأله عن اتفاق الأمة من أين يؤخذ في كتاب اللّه. قال الشافعي: فقرأت القرآن ثلاثة أيام بلياليهن حتى وجدت قوله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾[1].

٩ ـ قال السيوطي: والقرآن محتاج إلى السنة ولا عكس أخرج البيهقي عن مكحول: قال: القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن ومعنى ذلك أن السنة جاءت مبينة للقرآن ومفصلة لمجملاته، وأخرج عن مجاهد قال: ليس أحد لا يؤخذ من قوله ويترك من قوله إلاَّ النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم.

واستشهد السيوطي على اختلاف الأمة بخبر نراه ماثلاً في واقعنا الآن تماماً.

قال: أخرج عن ابراهيم التيمي قال: أرسل عمر بن الخطاب إلى ابن عباس فقال: كيف تختلف هذه الأمة وكتابها واحد ونبيها واحد وقبلتها واحدة؟ فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين أنا أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيما نزل. وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرءون القرآن ولا يعرفون فيما نزل فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا فإذا اختلفوا اقتتلوا ـ أخرجه سعيد ابن منصور في سننه.

قال السيوطي: فعرف من هذا وجوب احتياج الناظر في القرآن إلى معرفة أسباب نزوله، وأسباب نزوله إنما تؤخذ من الأحاديث ومن هنا

---

= واللغات ١/ ٤٤، وصفوة الصفوة لابن الجزري ٢/ ٩٥، طبقات النحاة لابن قاضي شهبة ١/ ٢١).

(١) النساء، آية: ١١٥.

وجب الالتزام بالسنة. بل أوجب مذاكرة الحديث وبين أن مذاكرة الحديث أفضل من مذاكرة القرآن قال أبو سعيد الخدري ذلك، وعلته ما أورده السيوطي عن الشافعي: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة وقراءة القرآن نافلة وحفظ الحديث فرض كفاية.

وأخرج عن سفيان النووي قال: لا أعلم شيئاً من الأعمال أفضل من طلب الحديث لمن حسنت فيه نيته.

١٠ ـ وكان الأئمة يعظمون حديث رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ فكان مالك إذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن من جلوسه بوقار وهيبة وحدث: فقيل له في ذلك فقال: أحب أن أعظم حديث رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ ولا أحدث إلا على طهارة متمكناً، وجاءه رجل وكان مضطجعاً فسأله عن حديث، فجلس فحدثه، فقال له الرجل: وددت أنك لم تتحن، فقال: أكره أن أحدثك عن رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ وأنا مضطجع.

وتارك السنة ملعون، ورد ذلك في حديث أخرجه الطبراني في الكبير قال: قال رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ: سبعة لعنتهم وكل نبي مجاب: الزائد في كتاب اللّه، والمكذب بقدر اللّه والمستحل حرمة اللّه والمستحل من عترتي ما حرم اللّه، والتارك لسنتي، والمستأثر بالفيء، والمتجبر بسلطانه ليعز ما أذل اللّه ويذل ما أعز اللّه.

إن أول أمر يحل من عرا الدين هو ترك السنة ثم لم يذل أمره يهي بعد ذلك، أخرج الدارمي في مسنده قال: بلغني أن أول الدين تركاً السنة.

وليت الذين يفرطون في أمر السنة يحكمون عقولهم ليدركوا أن التمسك بالسنة فيه جمع لشمل الأمة وتقوية لرابطة الدين واحياء للمثل الغليا التي جاء بها الإسلام.

وقد كان الصحابة والتابعون يستنكفون أن يذكر مع مقال رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ مقال آخر. حدث ابن سيرين[1] رجالاً بحديث فقال رجل: قال فلان كذا وكذا ابن سيرين: أحدثك عن النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ وتقول: قال فلان واللّه لا أكلمك أبداً.

وكان الرجل منهم يغضب على تارك السنة فيعمل اللّه بعقوبته إكراماً لغضبته لله. جاء رجل الى سعيد[2] بن المسيب يودعه بحج أو عمرة فقال: لا تخرج حتى تصلي فإن رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ قال: «لا يخرج بعد النداء من المسجد الا منافق»[3] فقال: إن أصحابي بالحرة، فخرج، فلم يزل سعيد مولعاً بذكره حتى أخبر أنه وقع من راحلته فانكسرت فخذه.

إن المحافظ على السنة أمره عظيم وان النظر إليه عبادة كما قال ابن عباس.

---

(١) محمد بن سيرين الأنصاري أبو بكر بن أبي عمرة البصرة. مولى أنس ابن مالك. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان، ومات في شوال سنة عشر ومائة بعد الحسن بمائة عام. (طبقات ابن سعد ج ٧ ص ١ ص ١٤٠، وشذرات الذهب ١ /١٢٨).

(٢) سعيد بن المسيّب بن حزن المخزوميّ أبو محمد المدنيّ، سيد التابعين. ولد لسنتين مضتا ـ وقيل لأربع ـ من خلافة عمر. ومات سنة ثمانين. (طبقات الشيرازي، ٥٧، والعبر ١ / ١١٠، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٤ / ٨).

(٣) رواه مالك في الموطأ سفر ٥٦.

وإن أهل الحق ليحزنون على فقدان أهل السنة. أخرج اللالكائي عن أيوب قال: إني أخبر بموت الرجل من أهل السنة فكأني أفقد بعض أعضائي.

ولقد اعتبر بعضهم أن العلم مرادف للسنة، قيل للوليد بن مسلم: ما اظهار العلم؟ قال: اظهار السنة. وكان هذا السؤال بعد أن تلا حديث رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ عن معاذ: إذا ظهرت البدع في أمتي وشتم أصحابي فليظهر العالم علمه فإن لم يفعل فعليه لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين.

١١ ـ قال السيوطي: لا بد من الاستسلام للسنة وعدم معارضتها وإن أهل السنة هم حفظة الدين ومعارضتهم قضاء على الدين قال سفيان الثوري: الملائكة حراس السماء وأهل الحديث حراس الأرض.

ولا يعارض السنة الا الرافضة.

أما الصوفية المحققون فهم محافظون على السنة، وقد أورد السيوطي طائفة طيبة من أقوال هؤلاء المحققين من ذلك قول أحمد بن الحواري: من عمل عملاً بلا اتباع سنة فباطل عمله وقول الجنيد: الطرق كلها مسدودة على الخلق الا على من اقتفى أثر رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ وقول أبي العباس الآدمي من ألزم نفسه آداب السنة نور اللّه قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه وأخرج أبو نعيم(١) عن سهل بن

---

(١) أبو نعيم الحافظ الكبير، محدّث العصر، أحمد بن عبد الله بن إسحاق ابن موسى بن مهران المهراني الأصبهاني الصوفي الأحول. ولد سنة ست=

عبد اللّه وهو من أئمة الصوفية، قال: أصولنا ستة أشياء، التمسك بكتاب اللّه والاقتداء بسنة رسوله وأكل الحلال وكف الأذى واجتناب الآثام وأداء الحقوق. وفي خاتمة الكتاب أوضح السيوطي خطر الزنادقة(١) واعتبرهم معول هدم في الاسلام وأن الرافضة أخذوا منهم وتعلموا كلماتهم التي وردت على ألسنة فرقهم المتعددة، لقد انحرف الرافضة عن الجادة وتركوا السنة ووقعوا في الصحابة رضوان اللّه عليهم. وروى السيوطي قول أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه: مثل أصحاب رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ مثل العيون ودواء العيون ترك مسها.

لقد أحسنت المطبعة السلفية صنعاً بنشر هذا الكتاب الذي يقع في ست وأربعين صفحة، وهذه ـ احدى طبعاته المتعددة ـ فقد منّ لجماهير الأمة الإسلامية خيراً كثيراً في هذه الآونة التي ظهرت فيها نعرات تدعو إلى نبذ السنة مما حدا بالغيورين من العلماء المخلصين الى التصدي لهم ومن ذلك ما قرأناه على صفحات الأهرام للشيخ الدكتور اسماعيل الدفتار ـ وقد شرح الحديث الشريف: إلا أني أوتيت القرآن ومثله . . . » وأفاض فيه ودعا إلى ضرورة التمسك بالسنة وهاجم الخارجين عليها النابذين لها وقال: إن الادعاء بالاكتفاء بالقرآن الكريم وترك السنة النبوية المطهرة هو في حقيقة ترك للقرآن الكريم.

---

= وثلاثين وثلاثمائة. صاحب «الحلية». مات في محرم سنة ثلاثين وأربعمائة. (لسان الميزان ١/٢٠١، معجم البلدان ١/٢٩٨، والمنتظم ٨/١٠٠، وميزان الاعتزال ١/١١١).

(١) الزنادقة جمع زنديق، والزنديق هو الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر.

وهذا الحديث قد أخبر بما يكون في مستقبل الزمان من وجود قوم ليس لهم خبرة بالعلم ولا عندهم إحاطة بالفقه في دين اللّه عز وجل يأتون فيدّعون أنهم بالاكتفاء بالقرآن الكريم وحده دون السنّة النبوية يحسنون صنعاً ولكن لا يفقهون.

## ٢٧ ـ ثالثاً: علوم اللغة:

وهي من العلوم التي رزق التبحر فيها وقد قيض اللّه للسوطي شيوخاً أئمة في اللغة والنحو، تلقى عندهم علوم العربية وأعانته ملكة صافية على اتقانها والبراعة فيها.

وكانت مصر منذ العصور المبكرة زاخرة بعلماء النحو الذين يشار إليهم بالبنان ويقصدهم الطلاب من كل مكان ويأتي في مقدمة هؤلاء ابن هشام المشهور بالسيرة النبوية وقد كان إلى جانب شهرته في السيرة إماماً من أئمة النحو واللغة توفي سنة ثماني عشرة ومائتين، وكان معاصراً للإمام الشافعي وله سمي آخر ظهر بعد اسمه جمال الدين عبد اللّه بن يوسف الإمام المشهور الذي قال في حقه ابن خلدون: ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه توفي سنة ٧٦١ هـ وجاء بعد من أئمة النحو ابن ولاد مؤلف كتاب «الانتصار لسيبويه» والمتوفى سنة ثلاثين وثلثمائة، ثم أبو جعفر النحاس صاحب التصانيف المعتبرة في النحو وغيره، والمتوفى سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة، ومن تأليفه الناسخ والمنسوخ وشرح أبيات سيبويه وغيرها.

وابن الجني محمد بن موسى الكندي الذي كان يلقب بسيبويه المصري، وتوفي سنة ثمان وخمسين وثلثمائة.

وتوالى ظهور العلماء والأئمة في اللغة والنحو كابن معطي المشهور صاحب الألفية في النحو المعروفة باسمه والذي أشار إليه ابن مالك في ألفيته، وهو يحيى بن معطي بن عبد النور توفي سنة أربع وستين وخمسمائة، والرضى الشاطبي الذي كان إمام عصره في اللغة تصدر بالقاهرة وأخذ عنه علماء أجلاء وتوفي سنة أربع وثمانين وستمائة، وابن منظور صاحب لسان العرب ويكفي أن يكون له هذا المصنف الجليل لبيان فضله، ولكن له مؤلفات عديدة تفوق الحصر، توفي سنة احدى عشرة وسبعمائة، وأبي حيان الغرناطي نحوي عصره ولغويه ومقرئه أخذ بمصر وأخذ عنه أكابر عصره وتقدموا على يديه في حياته وتوفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة ورثاه صلاح الدين الصفدي بمرثية منها:

مات أثير الدين شيخ الورى فاستعر البارق واستعبروا
ورق من حزن نسيم الصبا واعتل في الأسعار لما سرى

ثم ابن عقيل صاحب الشهرة الفائقة في النحو ويكفي أن يكون له أعظم شرح على ألفية ابن مالك والتسهيل وتوفي سنة تسع وستين وسبعمائة، ثم شمس الدين الأسيوطي المتوفى سنة سبع وثمانمائة وشمس الدين الشطنوفي شيخ الشمني شيخ السيوطي توفي سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة.

فالسيوطي في ذلك ابن بيئته وكان شيخه الشمني بارعاً في النحو قال عنه السيوطي: إن أخذ في النحو كان للخليل رفيقاً وقد انتفع به السيوطي انتفاعاً كبيراً وكان له أثرٌ كبيرٌ في نبوغ السيوطي في النحو واللغة وحين ألّف شرح الألفية وجمع الجوامع في النحو كتب له تقريظاً عليهما وشهد له غير مرة بالتقدم بلسانه وبنانه.

كما كان تلميذ شيخه الكافيجي الذي لقب بذلك لكثـرة تدريسه الكافية.

وللسيوطي مؤلفات عديدة في هذا المجال منها:

ـ شرح ألفية ابن مالك ويسمى: البهجة المضية في شرح الألفية.

ـ النكت على الألفية والكافية والشافية والشذور والنزهة.

ـ الفتح القريب على مغنى اللبيب ـ شرح شواهد المغنى.

## ٢٨ ـ جمع الجوامع في النحو:

وهو كتاب مختصر يحتوي على مقدمة في تعريف الكلمة وأقسامها وعلى سبعة كتب هي: المرفوعات والفضلات والمجرورات والعوامل، والتوابع، والأبنية وتغيرات الكلم الافرادية.

وقال في مقدمته: هو كتاب لم يؤلف مثله في صغر الحجم وكثرة الجمع هو نحو ثلثي التسهيل وضعف ما فيه من المسائل وقد وقف عليه شيخنا الشمني فأعجبه.

ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع. وقال فيه عن جمع الجوامع: هو كتاب في العربية جمع أدناها وأقصاها لم يغادر من مسائلها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، جمعته من نحو مائة مصنف ثم ذكر أنه أراد أن يشرحه شرحاً بسيطاً ولم يساعده الزمان، فشرحه شرحاً وسيطاً لحل مبانيه وتوضيح معانيه وهذا هو همع الهوامع.

ـ شرح ملحة الاعراب للحريري ـ مختصر الملحة ـ مختصر الألفية دقائق الألفية.

ـ الأخبار المروية في سبب وضع العربية ـ المصاعد العلية في القواعد النحوية.

ـ الاقتراح في أصول النحو وجدله ـ الشمعة المضيئة في شرح كافية ابن مالك.

ـ التوشيع على التوضيع ـ السيف الصقيل في حواشي ابن عقيل.

ـ حاشية على شرح الشذور ـ شرح القصيدة الكانية في التصريف.

ـ قطر الندا في ورود الهمزة للندا.

هذا بعض ما ذكره من مؤلفاته في حسن المحاضرة ولم يشر إلى كتاب قيّم له اسمه الأشباه والنظائر النحوية وقد رتبه على سبعة فنون كل فن له مقدمة مستقلة كأنه سبعة كتب طبع في حيدر آباد سنة ١٣١٧ هـ في أربعة مجلدات. ولم يشر كذلك الى كتابه القيم: المزهر في اللغة وقد ألف هذين الكتابين وغيرهما بعد كتابة حسن المحاضرة.

## ٢٩ ـ كتاب المزهر في علوم اللغة وأنواعها:

يعد هذا الكتاب من أعظم ما ألّف في اللغة قال عنه جورجي زيدان في كتابه: «آداب اللغة العربية»: المزهر في علوم اللغة وهو أهم كتبه اللغوية وهو فريد في بابه يدخل في جزءين الجزء الأول يبحث في ألفاظ اللغة وأصلها وصحيحها ومتواترها والمرسل والمنقطع وطرق الأخذ ومعرفة المصنوع والفضيح والضعيف والمنكر والرديء والمزموم. والمطرد والشاذ والغريب والنادر والمستعمل والمهمل والمعرب والمولد... وغير ذلك والجزء الثاني يبحث في أوزان الكلام وأبنية الأفعال وضوابط واستثناء الأبنية مما يندر وروده.

وفيه فائدة عظمى للباحث في أصول الألفاظ وعلاقة العربية بأخواتها السامية.

وهو كتاب عظيم الأهمية للباحث اللغوي أو الناظر في فلسفة اللغة، وإن اقتصر غالباً على ايراد الأقوال نقلاً عن أصحابها لكنه يتضمن حقائق مهمة نقلها عن ثقات ضاعت مؤلفاتهم، وقد طبع في مصر سنة ١٢٨٢ هـ. وطبع مرة أخرى سنة ١٣٢٥ هـ ولنترك الكتاب يقدم نفسه للقارىء ليعرف قدره.

وذكر السيوطي في مقدمة كتابه بعد الحمد للّه والثناء عليه والصلاة على نبيه الكريم أن هذا العلم الذي ألف فيه شريف ابتكر ترتيبه واخترع تنويعه وتبويبه وذلك في علوم اللغة وأنواعها وشروط أدائها وسماعها حاكى به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع وأتى فيه بعجائب وغرائب حسنة الإبداع وقد كان كثير من المتقدمين يلم بأشياء من ذلك غير أن هذا الكتاب لم يسبقه اليه سابق ولا طرق سبيله قبله طارق.

## الهدف من كتابه:

ثم تحدث عن الهدف من كتابه وهو تمكين الناس من فهم أسرار العربية ليفهموا بذلك مقاصد القرآن الكريم والحديث الشريف أولاً ثم كلام العرب ثانياً، واستشهد على ذلك بعبارة لأبي الحسين أحمد بن فارس في أول كتابه فقه اللغة.

## موضوعات الكتاب:

ثم أخذ في موضوع كتابه. فتحدث عن اللغة وأشار إلى مفهومها

وأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وبين آراء العلماء حول أنها توقيفية أو اصطلاحية، ثم استطرد إلى آراء المفسرين وذكر الآثار الواردة في أن اللّه تعالى علم آدم الأسماء أي اللغات، وذكر بعض الأخبار الغريبة في ذلك مثل:

قال عبد الملك[1] بن حبيب: كان اللسان الأول الذي نزل به آدم من الجنة عربياً إلى أن بعد العهد فعرف وصار سريانياً وهو منسوب إلى أرض سوري أو سوريانه كان بها نوح وقومه قبل الغرق وكان يشاكل اللسان العربي إلا أنه محرف وكان لسان جميع من في سفينة نوح إلا رجلاً واحداً يقال له جرهم وكان لسانه لسان العرب الأول فلما خرجوا من السفينة تزوج آدم بن سام بعض بناته فمنهم من صار لسانه عربياً ومنهم من بقي لسانه سريانياً.

وقيل أول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان.

وتحدث عن فصاحة النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ وبلاغته وذكر في ذلك خبراً عن عمر بن الخطاب. قال: يا رسول اللّه مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا؟ قال: كانت لغة اسماعيل قد درست فجاء بها جبريل ـ عليه السلام ـ فحفظينها فحفظتها. ـ أخرجه ابن عساكر[2] في تاريخه.

---

(١) عبد الملك بن حبيب الأزدي أبو عمران الجوني البصري أحد العلماء عن جندب وأنس وعنه سليمان التيمي والحمادان وخلق وثقه ابن معين قال عمرو بن علي مات سنة ثمان وعشرين ومائة. (خلاصة تذهيب الكمال ص ٢٤٣).

(٢) ابن عساكر الإمام الكبير حافظ الشام بل حافظ الدنيا الثقة الثبت الحجة ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسين بن هِبَة اللّه بن الحسين الدمشقي

ثم ذكر الحكمة من وضع اللغة. قال: لما لم يكن الإنسان مكتفياً بنفسه في معاشه ومقيمات معاشه لم يكن له بد أن يسترفد المعادن من غيره ولهذا اتخذ الناس المدن ليجتمعوا ويتعاونوا والإنسان متمدن بالطبع والتوحش دأب السباع والإنسان حاجاته متعددة وحاجته إما أن تكون حاضرة بين يديه فيمكنه الاشارة اليها وإن كانت غائبة عنه لا بد أن يدل عليها فوضع الكلام دلالة واللسان أسرع الأعضاء حركة وقبولاً للترداد والكلام أما حرف أو صوت فإن تركه سدى غفلاً امتد وطال وإذ قطعه تقطع، فقطعوه وجزأوه على حركات أعضاء اللسان التي يخرج منها الصوت وهو من أقصى الرئة إلى منتهى الفم وقسموا الحروف وهي تسعة وعشرون حرفاً على العلق والصدر والشفة واللثة ورأوا الكفاية لا تقع بهذه الحروب بأفرادها فركبوا منها الكلام ثنائياً وثلاثياً ورباعياً وخماسياً.

وبلغت الدقة أقصاها في استعمال الكلمات على مدلولها: فالخضم لأكل الرطب. والقضم لأكل اليابس. فاختاروا الغاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس.

والنضح للماء ونحوه والنضخ أقوى منه فجعلوا الحاء لرقتها للماء والخاء لغلظها لما هو أقوى. . . وهكذا.

## ذهاب كثير من اللغة:

والذي انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقل ولو جاءنا جميع ما

---

الشافعي. صاحب «تاريخ دمشق» ولد سنة تسع وتسعين وأربعمائة، ومات في حادي عشر رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة. (مفتاح السعادة ٢/ ٣٥٢، البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٢٩٤، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٤/ ١٣٢٨).

قالوه لجاءنا شيء كثير وهناك أساليب درست وكانت مستعملة، فمن ذلك قول العرب القدماء في الاغراء كذبك كذا وقد جاء في الحديث: كذب عليكم الحج وكذبك العسل.

ونحن نعلم أن قول كز يبعد ظاهرة عن باب الاغراء...

وذكر السيوطي ألفاظاً كثيرة لها معان ولكنها اندثرت أو بعد العهد بيننا وبينها حتى لكأنها غريبة عنا أو نحن غرباء عنها، من ذلك امرأة ضناك، وفرس أشق أمق خبق[1] وغير ذلك. وتحدث السيوطي في كتابه عن مؤلفات العلماء في اللغة، وذكر كتاب العين للخليل بن أحمد قال: وهناك من نسبه لتلميذه الليث وبين أثر هذا الكتاب فقد فتح الطريق لغيره من الكتب مثل كتاب الجمهرة لابن دريد والمحكم لابن سيده والجامع لابن القزاز الصحاح للجوهري والمجمل لابن فارس.

واستطرد إلى الحديث عن جمهرة ابن دريد وما حكاه العلماء فيه وحوله وقد دافع السيوطي عن ابن دريد ضد من اتهمه بأنه أخذ كتابه عن غيره أو بعدم الثقة في روايته وقال: إن كلام ابراهيم بن عرفة المعروف بنفطويه لا يقبل كلامه في ابن دريد لأنه بدافع المنافسة التي كانت بينهما وهذا يذكرنا بما حدث بين السخاوي والسيوطي وكلام الأقران لا يقبل بعضهم في بعض.

ومن الطرائف التي أوردها حول كتاب الجمهرة قوله: قال بعضهم: كان لأبي علي القالي نسخة من الجمهرة بخط مؤلفها وكان

(١) الضناك المرأة الضخمة أو المكتنزة الصلبة اللحم والأشق الأمق الغبق أوصاف للفرس الطويل السريع ـ اللسان.

قد أعطى بها ثلاثمائة مثقال فأبى، فاشتدت به الحاجة فباعها بأربعين مثقالاً وكتب عليها هذه الأبيات:

أنست بها عشرين عاماً وبعتها | وقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظني أنني سأبيعها | ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لعجز وافتقار وصبية | صغار عليهم تستهل شؤوني
فقلت ولم أملك سوابق عبرة | مقالة مكوى الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا أم مالك | كرائم من دب بهن ضنين

فأرسلها الذي اشتراها وأرسل معها أربعين ديناراً أخرى - رحمهم الله - وبعد أن استوفى الكلام على كتب اللغة التي حفظت ما ورد عن العرب وعن ضياع كثير منها في فتنة التشاد تحدث عن:

ما رُويَ من اللغة ولم يصحح ولم يثبت مثل: الجبجاب والجيجاب للماء الكثير وأرض حثواء أي كثيرة التراب وأخة مؤنث أخ وغير ذلك.

وتحدث عن تعريفات الأخبار:

فالتواتر لغة القرآن وما تواتر من السنة وكلام العرب وهذا دليل قطعي.

والآحاد ما تفرد بنقله بعض أهل اللغة والرسل ما لم ينقطع سنده والمنقطع ما انقطع سنده وهذا يوجب الجهالة والإفراد ما انفرد بروايته واحد من أهل اللغة ولم ينقله أحد غيره وحكمه القبول إذا كان المتفرد به من أهل الضبط والاتقان. وتحدث عن طرق الأخذ والتحمل ومن هذه الطرق السماع والقراءة على الشيخ والسماع بقراءة غيره والاجازة والمكاتبة والوجادة بأن يقول وجدت في كتاب كذا...

## ٣٠ ـ من طرائف الأخبار:

ويذكر أخباراً في ذلك فيها طرف ونوادر وملح. من ذلك نقل عن القالي في أماليه هذا الخبر: لقيت أعرابياً بمكة فقلت ممن أنت؟ قال: أسدي. قلت: ومن أيهم؟ قال: نمري قلت: من أي البلاد: قال: من عمان.

قلت: فأنّى لك هذه الفصاحة: قال: إنا سكنا أرضاً لا نسمع فيها ناجخة التيار.

قلت: صف لي أرضك.

قال: سيف أفيع، وفضاء ضحضح وجبل صروح. ورمل أصبح قلت: فما مالك؟ قال: النخل، قلت: فأين أنت عن الابل؟ قال: ان النخل حملها غذاء وسعفها ضياء وجذعها بناء وكربها صلاء وليفها وشاء وخوصها وعاء وقروها اناء[1].

ومن أجمل الشعر ما أنشده أعرابي من بني تميم لنفسه:

من تصدى لأخيه ... بالغني فهو أخوه
فهو إن ينظر إليه ... رأى ما لا يسوه

يكرم المرء وان أملق قصاه بنوه:

لو رأى الناس نبياً ... سائلاً ما وصلوه
وهم لو طمعوا في ... زاد كلب أكلوه

---

(١) الناجخة: الصوت ـ التيار: الموج ـ السيف: الشاطىء ـ فيح: واسع الضحضح الصحراء ـ الصروح: الصلب ـ الأصبح! الذي يعلو بياضه حمرة ـ الرشاء: الحيل ـ الفرو. وعاد من جزع النخل.

أنت ما استغنيت عن صاحبك الدهر أخوه
لا تراني آخر الدهر بتسآل أفوه.
إن من يسأل سوى الرحمن يكثر حارموه،
والذي قام بأرزاق الورى طرا سلوه.
وعن الناس بفضل اللّه فاغنوا واحمدوه.
تلبسوا أثواب عز فاسمعوا قولي وعوه.
أنت ما استغنيت عن صاحبك الدهر أخوه
فإذا احتجت إليه ساعة مجك فوه
أهنا المعروف ما لم تبتذل فيه الوجوه
انما يصطنع المعروف في الناس ذووه

ومن الملح. قيل لعقيل بن علقمة وأراد سفراً: أين غيرتك على من تخلف من أهلك؟ قال: أخلف معهم الحافظين: الجوع والعرى، أجيعهن فلا يمرحن وأعريهن فلا يبرحن.

## ٣١ ـ افصح العرب:

قال: أفصح الخلق على الاطلاق سيدنا ومولانا رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم.

وأفصح العرب قريش لأنها ارتفعت عن عنعنة تميم وتلتلة بهراء وكسكسة ربيعة وكشكشة هوازر وعجرفية ضبة[1].

(١) التلتة: كسر أوائل الأفعال المضارعة ـ والعنعنة حمل الهمزة المبدوء بها عيناً، والكسكسة: أن تجعل بعد الكاف أو مكانها سيناً، والكشكشة، أن تجعل بعد كاف الخطاب شيئاً في المؤنث أو مكانها

وذكر أمثلة من نوادر اللغة وشواردها ومفاريدها ومختلفاتها وما تداخل منها وما توافق فيها. فمما توافق الاستبرق وهو الغليظ من الديباج يقابل الأستبرة بالفارسية والتنود وهو في عدة لغات والدشت الصحراء وهو في الفارسية كذلك.

وتحدث عن المعرب من اللغات ودخل في العربية وذكر أمثلة متعددة من جميع اللغات.

وذكر طرفاً من الألفاظ الاسلامية التي جدت في اللغة بعد الإسلام سواء منها ما اختلف مدلولها عما كانت عليه أو بما أضيف اليها فغيّر معناها، مثل كلمات المؤمن والكافر والمنافق والصلاة والركوع والسجود وقد كانت هذه الألفاظ توضع لمعان غير ما تدل عليه في الإسلام.

وهناك ألفاظ هجرت وزالت بزوال معانيها كالمرباع والنشيطة والفضول. وتحدث عن الألفاظ المولدة ومن بينها القازوزة وهي آنية من أواني الشراب ونحن نستعملها الآن بمعنى الشراب نفسه ومنها الطرش للصمم وستي بمعنى سيدتي والتفرج على الشيء ولعله من انفراج الغمة وهناك ألفاظ وردت مشددة والعامة تخففها والعكس وألفاظ وردت ساكنة والعامة تحركها والعكس وألفاظ تبدل العامة منها حرفاً بحرف وألفاظ وردت مفتوحة والعامة تكسرها والعكس وهكذا وتراه يستقصي الألفاظ الواردة في كل منها.

## ٣٢ ـ خصائص اللغة:

وعقد السيوطي فصلاً تحدث فيه عن خصائص اللغة ومن هذه

الخصائص الإبانة والاعراب والبلاغة والقلب والاشتقاق والترادف والاشتراك والالتفات والاضمار والاظهار والايعاز والاطناب والمساواة إلى غير ذلك مما تمتاز به هذه اللغة التي اختارها اللّه لغة لأبلغ كلام وأبينه وهو القرآن الكريم.

ثم أخذ يفصل القول في كل ذلك ولم يغفل عن أن يأتي في أثناء ذلك بطرائف الأخبار.

ومن ذلك:

قال: أخبر القالي في أماليه عن يونس قال: كنت عند أبي عمرو بن العلاء فجاء شبيل بن عزرة الضبعي فقام اليه أبو عمرو فألقى اليه لبدة بغلته فجلس عليها ثم أقبل عليه يحدثه فقال له شبيل: يا أبا عمرو سألت رؤبتكم هذا عن اشتقاق اسمه فما عرفه*.

قال يونس: فلما ذكر رؤبة لم أملك نفسي فرجعت اليه فقلت له: لعلك تظن أن معد بن عدنان أفصح من رؤبة وأبيه، فأنا غلام رؤبة منها الروبة والروبة والروبة والرؤبة؟ فلم يحر جواباً وقام مغضباً. فأقبل على أبو عمرو وقال: هذا رجل شريف يقصد مجلسنا ويقضي حقوقنا وقد أسأت فيها واجهته به فقلت له: لم أملك نفسي عن ذكر رؤبة.

ثم فسر لنا يونس الكلمات التي وردت في سؤاله فقال: الروبة خميرة اللبن والروبة قطعة من الليل وفلان لا يقوم بروبة أهله أي بما أسندوا اليه من أمورهم والروبة جمام ماء الفعل، والرؤبة مهموزة القطعة تدخلها في الاناء يشعب بها الاناء وهذا كله من قبيل المشترك اللفظي.

ويستعمل هذا اللون من المشترك في الألغاز كقولهم:

يا ويح قلبي من دواعي الهوى ... إذا رحل الجيران عند الغروب
اتبعتهم طرفي وقد أزمعوا ... ودمع عيني كفيض الغروب
بانوا وفيهم طفلة حرة ... تغترعن مثل أقاحي الغروب

فالغروب الأول غروب الشمس والثاني جمع غربي وهو الدلو العظيمة المملوءة بالماء، والثالث جمع غرب وهو الوهاد المنخفضة. ثم تحدث عن الأضداد وهو نوع من المشترك كالجوذ للأسود والأبيض والجلل للصغير والكبير، والصارخ للمغيث والمستغيث، وعن المترادف وهو الألفاظ المتعددة التي تدل على معنى واحد باعتبار واحد كالسبع والأسد والليث وكالخمر والعقار والصهباء والقهوة.

ويأتي كذلك في الجمل. كقولهم: أصلح الفاسد ولم الشعث ورتق الفتق وشعب الصدع.

وتحدث عن الإتباع كقولهم: شاغب لاغب ـ شيطان ليطان خراب يباب.

وتحدث عن الخاص والعام من الألفاظ وشرحه في فصول عدة وعن المطلق والمقيد ومن ذلك: لا يقال للمائدة مائدة الا وعليها طعام وإلا فهي خوان، ولا يقال للكأس كأساً إلا وفيها شراب وإلا فهي قدح أو كوب. . . وهكذا.

وتحدث عن المشجر ـ وهو باب طريف من أبواب اللغة والمقصود به مداخلة الكلام للمعاني المختلفة كأن تقول: شجرة العين والعين عين الوجه، والوجه القصد. والقصد الكسر والكسر جانب الخباء،

والخباء مصدر خابأت الرجل أي خبأت له خبئاً والخبء السحاب والسحاب اسم عمامة النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ والنبي: التل العالي والتل مصدر التليل وهو المصروع والتليل كذلك صفحة العنق، والعنق: الرجل من الجراد والرجل الفهد والفهد المعز. . . الخ . . .

وتحدث عن الإبدال والقلب والنحت والأمثال واستعرض طائفة من مشهودها واستدرك على الميداني في مجمعه بعض الأمثال واستعرض أشهر الكنى والبنات والأبناء والأخوة والأخوات والأذواء والذوات. فمن أشهر الكنى أبو الحارث للأسد وأبو فراس كذلك وأبو الذباب للأبعد وأبو الرقال للغراب وأم القرآن للفاتحة وأم الكتاب للوح المحفوظ وأم قشعم للمنية وأشهر الأبناء ابن ذكاء للصبح وابن بجدتها للعالم بالأمر وابن ليل لمن يسري كثيراً وأشهر البنات بنت طبق للحية وللداهية وبنت شفة للكلمة وبنات نعش للكواكب.

وأخو السرار للمناجي وأخو الفراش للمريض، وذو البطن للحمل وذو النورين عثمان وذو الجناحين جعفر.

واستقرأ الألفاظ التي وردت بحرفين كالتاء والثاء وكالتاء والباء وكالسين والشين وغير ذلك.

وعقد فصلاً لملاحن الكلام. وقد ألف في ذلك ابن دريد كتاباً بهذا الاسم وكانت العرب تتعمد اللحن في الكلام إذا أرادت التورية والتعمية في الأخبار واللحن معناه الفطنة ومن القصص الطريفة في ذلك:

وقع أسير من بني العنبر في بكر بن وائل، فسألهم رسولاً يرسله

الى قومه فقالوا: لا ترسل إلا بحضرتنا لأنهم كانوا قد أزعموا غزو قومه فخافوا أن ينذرهم فجيء له بعبد أسود فقال له: أبلغ قومي التحية وقل لهم ليكرموا فلاناً ـ يعني أسيراً كان في أيديهم من بكر ـ فإن قومه لي مكرمون وقل لهم: إن العرفج قد أدبي وقد شكت النساء وأمرهم أن يعروا ناقتي الحمراء فقد أطالوا ركوبها وأن يركبوا جملي الأصهب بأية ما أكلت معكم حيساً واسألوا الحارث عن خبري.

فلما أدى العبد الرسالة قالوا: لقد جن الأعور ـ وهو الأسير ـ والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملاً أصهب ثم سرحوا العبد ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة فقال: لقد أنذركم أما قوله أدبي العرفج يريد أن الرجال قد استلأموا ولبسوا السلاح.

وقوله شكت النساء أي اتخذت الشكا للسفر وقوله الناقة الحمراء أي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصمان وهو ما يقصده بالجمل الأصهب وقوله أكلت معكم حيساً يريد إخلاصاً من الناس قد غزوكم لأن الحيس يجمع بين التمر والسمن والاقط فامتثلوا وعرفوا لحن كلامه.

واستعرض في ذلك أمثلة كثيرة وختمها بذكر مقامة الحريري الثانية والثلاثين وهي تتضمن ضروباً من الألغاز التي تحتاج في فهمها إلى فطنة عقل وتوقد ذهن.

## مع الجزء الثاني:

بدأ الجزء الثاني ببيان الأشباه والنظائر فتحدث عن أبنية الاسماء وحصرها وما ألحق عن أبنية الأفعال وأردفه بذكر نوادر التأليف وبذكر

ضوابط واستثناءات في أبنيتها من ذلك لم يـرد على وزن فعال بضم الفاء وهو جمع الا عشر كلمات هي : عراق جمع عرق ـ اللحم على العظم ـ ورخال جمع رخل من أولاد الضأن ودباب جمع دبي ، وتؤام جمع توءام وفرار جمع فرير ولد الظبية ونذال جمع نذل، ورذال جمع رذل وثناء جمع ثنى وهو الولد بعد البكر، وبساط جمـع بسط الناقـة الغزيرة، وظؤار جمع ظئر. وقد نظم الزمخشري أبياتاً ضمنهـا بعض هذه الجموع، ذيل عليها السيوطي بما فاته ـ واستقرأ في ذلك المعنى ألفاظاً عزيزة نادرة منها:

قال: ليس في كلام العرب كلمة أولها واو وآخرها واو إلا حرف واو ليس في كلام العرب فعال جمع على فواعل الأحـرفان همـا: دخان دواخن، وعثان عواثن ـ والعثان هو الدخان والغبار.

ليس في كلام العرب فعل يفعل فعلاً الا سحر يسحر سحراً بالفتح فيها. وليس في كلامهم كلمة أولها ياء مكسورة الا كلمة يسار في لغة والفتح هو الفصيح .

لا يأتي أصرف بالهمزة الا في معنى واحد هو أصرفت القافيـة اذا أقويتها، وغير ذلك صرف بدون همز.

والمصـدر على وزن فعلة يكـون على وزن اسم المـرة ولا يـأتي بالكسرة الا في كلمة حججت حجة ولا يأتي بالضم الا في رؤبة .

واستقصى كافة الأوزان الغريبة في اللغة وذكر ما جاء على مثالها من الكلمات .

واستطرد الى طرائف من النسب وألفاظ وردت على هيئة المصغر وألفاظ زيدت الميم في آخرها.

وتحدث عن أيمان العرب وذكر فيها غرائب منها: أحجة اللّه لا أفعل ذلك، ومنها تعمدك اللّه آتيك وجير لا آتيك، وذكر طائفة من الفروق بين الكلمات تدل على دقة العرب في استعمال اللغة مثل: تقول الأسرى الذين جاءوا مستأسرين والأساري الذين جاءوا في الوثاق.

ورجل شعراني اذا كان طويل شعر الرأس، ورجل أشعر اذا كان كثير شعر البدن.

النسب الى مدينة الرسول مدني، والى مدينة المنصور مديني والى مدينة كسرى مدائني ومن الغرائب جمع أم في النساء أمهات ومن البهائم أمات.

## ٣٣ ـ آداب اللغوي:

عقد السيوطي لذلك فصلاً طريفاً صدره بحديث النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ذكر فيه جملة آداب ترانا جميعاً ما دمنا نطلب العلم في حاجة إلى التحلي بها. وأورد في خلال ذلك قصصاً طريفة يسترعي بها الذهن ويجدد بها الهمة ويوقظ بها الانتباه.

وكان العلماء الأوائل اذا حصلوا شيئاً من العلوم التي كانوا يتعنون في طلبها يفرحون به ويقبرونه حتى لا ينسوه.

وذكر وظائف الحافظ وحصرها في الاملاء والافتاء والافادة والقول فيما لا يعلم لا أعلم وهذا من أعظم الأدب. قيل للشعبي أنا لنستحيي من كثرة ما نسأل فنقول لا أدري.

فقال: لكن الملائكة المقربون لم يستحيوا حين سئلوا عما لا يعلمون أن قالوا: لا علم لنا الا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم بل ان هناك من العلماء الأفاضل القدامى من قال قولاً ثم رجع عنه حين تبين له وجه الصواب في غيره.

وعقد فصلاً عن الكتابة والخط، ذكر فيه فضل القلم والكتابة وكيف بدأت الكتابة عند العرب، وأشهر الكتاب ويتصل بالكتابة التصحيف والتحريف، وذكر في ذلك أحاديث طريفة تذكر بما نراه الآن في مطبوعاتنا حين يسهو المصحح فيتغير كثير من المعاني بسبب السهو والخطأ.

وبيّن السيوطي ما أخذ على أصحاب اللغة في كتبهم من تحريف أو تصحيف ثم استقرأ طبقات الحفاظ والثقات والضعفاء، وأشهر من عرف من العلماء بكنيته أو لقبه ونسبه وأشهر الشعراء الذين يحتج بشعرهم وذكر سبب غلبة الألقاب على أصحابها وأسماء الذين لقبوا بأبيات شعر قالوها وذكر المؤتلف والمختلف من الأسماء والألقاب والمتفق والمتفرق ومن ذلك الأخفش لقب لأحد عشر نحوياً وسيبويه لقب لأربعة وثعلب لقب لإثنين ونفطويه لقب لإثنين وابن هشام لجماعة وامرؤ القيس لجماعة من شعراء العرب والنوابغ أربعة ومن قبائل العرب قبائل متفقة في الاسم.

ثم تحدث عن الشعر وفضله وأشهر من قال شعراً وتحدث عن

أغلاط العرب وختم كتابه بذكر ملح ومقطعات من كلام فصحاء العرب ونسائهم وصغارهم وامائهم.

ان هذا الكتاب حجة للسيوطي على بلوغه القمة في اللغة والأدب والأخبار وجمع الروايات واستقصاء الرواة.

ولو لم يكن له من فضل سوى أنه جمع لنا الأخبار وواءم بينها وألف بين شتاتها لكفاه ذلك فخراً وهو خير رد على أولئك الذين خبطوا بتآليفهم في فقه اللغة على غير علم بها أو رغبة في الطعن في العرب ولغتهم. إن كتاب السيوطي هذا يلقم هؤلاء حجراً بل أحجاراً وقد تنبه حديثاً للرد على هؤلاء الطاعنين الدكتور عبد الغفار حامد هلال بتأليفه كتاباً عنوانه: أصل العرب ولغتهم بين الحقائق والاباطيل. يرد فيه على كتاب ألفه د. لويس عوض: مقدمة في فقه اللغة.

وقد قدمت مجلة الأزهر لكتاب الدكتور عبد الغفار عرضاً شائعاً. بقلم الدكتور عبد المنعم محمد عبد الغني النجار.

ولكن كتاب المزهر في شموخه وأصالته ودقته واستقصائه وطرافة أخباره وعمق أفكاره وموضوعاته دليل ملموس على أصالة العرب واستقلال لغتهم وجلال محتدهم وعظمة دينهم وسيبقى هذا الكتاب قمة في فقه اللغة والتأليف فيه. وعلى الرغم من تعدد طبعاته فقد وفق اللّه من قاموا باعادة طبعه وتحقيقه وتقديمه لقراء العربية والمستفيدين بعلومها وعلمائها في ثوب قشيب.

## ٣٤ ـ السيوطي دائرة معارف:

المطّلع على قائمة مؤلفات السيوطي يدرك أنه لم يترك فناً لم يؤلف فيه «وقد انتشرت مؤلفات السيوطي في سائر أنحاء العالم الاسلامي وأقبل الطلاب والدارسون على دراستها واشتهرت في الحجاز والشام واليمن والهند والتكرور، وشغلت هذه المؤلفات فراغاً كبيراً في المكتبة الإسلامية خصوصاً في العصر الذي أعقب وفاته ـ أقصد العصر العثماني ـ حيث انحط التأليف أو انعدم وفي جامعاتنا الآن يتناول طلاب الدراسات الدينية واللغوية بصفة خاصة مؤلفات السيوطي بالبحث والدرس وصفوة القول أن السيوطي عالم كبير وهب حياته للعلم والتأليف بشغف منقطع النظير لم يبلغ من وراء ذلك مغنماً ولا نفعاً وإنما أراد أن يشبع رغبة ملحة في نفسه أفنى فيها عمره وهي الدراسة والبحث[1]، وقد رأينا في عرض مصنفاته السابقة كيف كان بارعاً في بعض الفنون كما أخبر عن نفسه والوقت والمكان لا يسعفان بعرض ما أنتجت قريحته ودبجت براعته في كافة الميادين التي ألف فيها ولكن حسبنا أن نشير الى أنه ألّف في الفقه مؤلفات عدة منها:

## ٣٥ ـ الأزهار الغضة في حواشي الروضة:

وقد سبق أن قلنا ان الروضة هي روضة الطالبين في الفقه الشافعي.

ولم يكتف بالتحشية عليها بل اختصرها في كتاب اسمه «القنيةَ» وزاد عليها في مؤلف آخر اسمه «الينبوع فيما زاد على الروضة من

(١) د. عصام عبد الرؤوف في جلال الدين السيوطي ـ ص ١٣٧ هيئة الكتاب.

الفروع» ونظمها في كتاب اسمه «الخلاصة» وشرح النظم في مؤلف اسمه: «رفع الخصاصة».

وله كتاب آخر اختصر فيه التنبيه اسمه «الوافي في شرح التنبيه» والتنبيه في فروع الشافعية أيضاً.

وذكر في كتابه حسن المحاضرة أنه ألّف في الفقه كتباً منها غير ما ذكرناه:

الأشباه والنظائر ـ واللوامع والبوارق في الجوامع والفوارق وشرح الروض وحاشية على القطب الاسنوي وغيرها . . . وله في أصول الفقه مؤلفات وله في التاريخ مؤلفات كثيرة منها كتابه القيّم الذي أرّخ فيه لمصر وهو «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة».

والولاء للوطن يقتضي الاشارة إلى بعض أبواب هذا الكتاب فقد ذكر في مقدمته الكتب التي طالعها وكانت مرجعاً له في تأليف كتابه ثم ذكر الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر مصر في القرآن الكريم تصريحاً أو كناية وأتبع ذلك بالأحاديث الواردة عن النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ في فضل مصر.

ثم تحدث عن اقليم مصر وما يمتاز به وعمّن نزل مصر من الأنبياء وعمن كان بها من الصديقين والحكماء.

ثم ذكر عجائب مصر القديمة وتحدث عن الأهرام من وجهة نظر المؤرخين القدامى قبل أن تحل رموز اللغة الهيروغليفية التي ألقت الضوء على الآثار المصرية القديمة ـ وذكر الأشعار التي قيلت في الأهرام، وتحدث عن الاسكندرية وبنائها وعجائبها وعن دخول عمرو بن العاص مصر في الجاهلية.

ثم تحدث عن الفتح العربي مبتدئاً بالرسالة التي كتبها النبي - صلى اللّه عليه وسلم - للمقوقس وتحدث عن بناء المسجد الجامع والتعمير حوله وما جد بعد ذلك واستطرد الى فتح بعض البلاد المجاورة لمصر.

ثم انتقل الى ذكر الصحابة الذين دخلوا مصر مرتبين أبجدياً وذكر الحفاظ من أهل مصر ونقاد الحديث ومن اشتهر بعلو الاسناد وذكر البارعين في فنون العلم المختلفة.

وفي الجزء الثاني تحدث عن أمراء مصر منذ فتحت حتى عصره الذي كان يعيش فيه وتحدث عن الفرق بين الخلافة والملك والسلطنة من حيث الشرع، واستطرد إلى ذلك من يطلق عليه لقب السلطنة ولقب الملك - وذكر عساكر مصر وقضاتها ووزرائها وكتابها، ثم تحدث عن جوامع مصر ومدارسها وخانقاتها، وذكر بعض الحوادث الغريبة التي جرت بمصر - واستطرد الى الطريق الذي يربط مصر بمكة وعن الحمام الذي يحمل الرسائل وعن عادات المصريين في أزيائهم وعن معاملة مصر في نقدها.

ثم تحدث عن بقية لطائف مصر وما تمتاز به وأشار إلى صبر المصريين على المظالم وأسباب ذلك وعن النيل وجماله وبركته ومزاياه وما قيل فيه من أشعار.

وذكر خليج مصر والخليج الناصري واستطرد إلى ذكر ما قاله الشعراء في وصف معاني مصر وزهورها وآثارها النبوية الجميلة.. وذكر في ذلك بعض الطرائف.

قالت د. سيدة الكاشف: والحق أن القارىء لكتاب حسن

المحاضرة لا يمل قراءته لتنوع فصوله ولأن المؤلف يعمد في كثير من الأحيان الى الاختصار المفيد، هو دائرة معارف لمصر الاسلامية اتبع السيوطي في تأليفه المنهج العلمي المعروف في كتابة التاريخ في العصر الإسلامي[1].

وله مؤلفات أخرى في التاريخ منها: تاريخ الصحابة، طبقات الحفاظ وطبقات المفسرين وطبقات الأصوليين وطبقات الكتاب وطبقات شعراء العرب وتاريخ الخلفاء وتاريخ أسيوط ومعجم شيوخه يسمى حاطب ليل وجارف سيل وله طبقات النحويين واللغويين ثلاث نسخ: الكبرى والوسطى والصغرى، وقال جورجي زيدان: الكبرى ضاعت والوسطى منها نسخة في باريس وقد طبعت سنة ١٣٢٢ هـ والصغرى هي بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة وبدأ في تأليفها سنة ٨٦٨ هـ وتحتوي على حوالي ٢٣٠٠ ترجمة.

وله في التاريخ مؤلفات كثيرة أخرى.

وله في الفنون الأخرى مؤلفات ـ فله في البلاغة نكت على التلخيص يسمى: «الافصاح» وله «شرح تلخيص المفتاح» وله رسالة بعنوان «فتح الجليل للعبد الذليل...» وهي تتضمن مائة وعشرين نوعاً من البديع في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿اللّه ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾.

قال في مقدمتها: قد وقع الكلام في هذه الآية فقررت فيها بضعة عشر نوعاً من البديع ثم وقع التأمل فيها بعد ذلك ففتح اللّه بزيادة حتى

---

(١) جلال الدين السيوطي ـ الهيئة المصرية للكتاب ـ ص ١٣٨.

جاوزت الأربعين، ثم قدحت الفكر فلم تزل تنمو إلى أن وصلت بحمد الله مائة وعشرين نوعاً، ثم في الآية من علم أصول الدين ـ وأصول الفقه ـ وعلم الفقة والنحو وعلم السلوك الكثير.

وقد امتدحه القادري بهذا العمل فقال:

ومستنبط من آية بعد آية    تلي آية الكرسي معنى يخلد
فوائد أشتات البديع التي بها    تفرد فيها جمعه فهو مفرد
وأنواعها عشرون مع مائة وقد    توجد فيها بالذكا فهو أوحد
ولم يك للماضين في الجمع مثلها    فسحقاً لمن للفضل في الناس يجحد
فحق له دعوى اجتهاد لأنه    هو الحبر علماً زاخر اللج مزبد[1]

قال د. عصام عن الردف: درس السيوطي علوم البلاغة مثل المعاني والبيان ونظريات العلماء فيها وآرائهم ازاءها والأسلوب الذي لم يتغير والأمثال التي لم تتجدد حتى في شكل شاحب هزيل فابتكر ببراعته كتاب «عقود الجمان في علم المعاني والبيان» جمع فيه كل الأبواب التي تشتمل عليها هذه العلوم واستطاع أن يعالج في كتبه كثيراً من المسائل شأنه في ذلك شأن العالم المجدد[2].

ومن نتاجه في الأدب ما أشار اليه كتاب معجم المطبوعات العربية: «رشف الزلال من السحر الحلال» المشهور بمقامات النساء وهي تشتمل على عشرين مقامة تدور بين عشرين عالماً تزوج كل منهم ووصف أول ليلة قضاها مع زوجته مورياً بألفاظ علمه وجعل لها

---

(١) حسن المحاضرة ١/٢٤٨.
(٢) جلال الدين السيوطي ص ١٢٩ هيئة الكتاب.

راوياً هو أبو الدر نفيس بن إدريس. أما هؤلاء العلماء فهم مقرىء ومفسر ومحدث وفقيه وأصولي وجدلي ولغوي ونحوي وصرفي وصاحب معان وصاحب بيان وصاحب بديع وصاحب عروض وكاتب وصاحب حساب وصاحب هيئة وصاحب ميقات وطبيب وصاحب منطق وصوفي.

وهدفه من هذه المقامة ـ كما يقول د. مصطفى الشكعة ـ أحد شيئين: إما إظهار براعته واثبات مقدرته على إجراء الحوار وافتراض الكلام وإما نقد أوضاع شاذة كانت سائدة في عصره أراد أن يبصر الناس بها.

وله وصف اللآل في وصف الهلال ذكر فيه أنه عند مطالعته لتذكرة الامام صلاح الدين الصفدي رآه قد أورد فيها عدة مقاطيع من نظمه في وصف الهلال فجردها في هذا الجزء وضم إليه من تأليفه عدة مقاطيع.

وله بديعية جميلة تسمى نظم البديع في مدح خير شفيع عارض بها بديعية ابن حجة وأولها:

من العقيق ومن تذكار ذي سلم

براعة العين في استهلالها برم

وله مقامات تسمى مقامات السيوطي وهي تسع وعشرون رسالة طبعت وذيلت بمقامة للشيخ حسن العطار وثلاثة نوادر أدبية وقد طبعت بمصر عام ١٢١٥ هـ بمطبعة الجوائب بدون الذيل عام ١٢٧٦ هـ وذكر جورجي زيدان أن له مقامات عددها ١٢٠ مقامة طبعت في الآستانة سنة ١٢٩٨ هـ.

وله كتاب اسمه «مشتهى العقول في منتهى النقول» وهو رسالة تتضمن أحسن ما قيل من كل شيء. وهو يدل على حسن الانتقاء وله كتاب طريف اسمه «الوسائل الى معرفة الأوائل» أخذه عن كتاب العسكري وزاد فيه وأحسن ترتيبه. وموضوعه الأوائل من كل حادث كقولهم: أول من خطب فلان وأول من لبس كذا فلان رتبه على الموضوعات، منه نسخة في دار الكتب المصرية.

وله ديوان الحيوان، خلاصة حياة الحيوان البرى للدميري.

وله الوديك في فضل الديك وهو رسالة مستخلصة من ديوان الحيوان السابق، جعلها في جزء مستقل وقال: ألّف الحافظ أبو نعيم جزءاً في فضل الديك وفيه من الافادة ما فيه وزيادة ورتب الرسالة على مقدمة ومقصر وخاتمة.

وله في الطب مؤلفات منها:

المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي ـ مجلد ـ أوله الحمد للّه حمد الشاكرين جمع فيه الأحاديث الخاصة بالطب وضم اليها من الآثار والمقاطيع ورتبه ترتيب الموجز.

وذكر له صاحب معجم المطبوعات كتاب الرحمة في الطب والحكمة ولكن صاحب كشف الظنون ذكر أن هذا الكتاب للشيخ مهدي بن علي بن ابراهيم التميمي المتوفى سنة ٨١٥. وله غير ذلك ومن موسوعاته العلمية كتاب النقابه وهو موسوعة تتضمن أربعة عشر علماً يسمى مجموع الأصول المهمة في علوم جمة منها جزء يبحث في التفسير وأصول الدين والتشريع والبديع والبيان والمعاني والخط وجزء آخر يبحث في التصريف والنحو والفرائض وأصول الفقه

والحديث والتصوف والطب ـ منه نسخة في برلين وطبع الجزء الأول في الآستانة ولهذا الكتاب شرح اسمه «إتمام الدراية بشرح النقاية» طبع في بمباي سنة ١٣٠٩ هـ.

وذكر ابن القاضي في ترجمة اسماعيل بن أبي سعيد أن له كتاباً اسمه «عنوان الشرف في الفقه» وفيه أربعة علوم غيره تخرج من رموزه في المتن عجيب الوضع وهي: تاريخ ونحو وعروض وقوافي. وقال: وعمل جلال الدين السيوطي كتاباً نحوه في كراسة واحدة في يوم واحد وسماه «النفحة المسكية والتحفة المكية» مجموعة في النحو وفيه عروض ومعان وبديع وتاريخ[1].

## ٣٦ ـ مؤلفاته في التصوف:

وله في التصوف مؤلفات كثيرة منها ما ذكره في حسن المحاضرة: تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية.

ودرج المعالي في نصرة الغزالي على المنكر المتغالي.

مختصر الأحياء.

الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والإبدال.

المعاني الدقيقة في إدراك الحقيقة.

وله: سهام الإصابة في الدعوات المستجابة.

وشرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور وله في هذا الموضوع: بشرى الكئيب بلقاء الحبيب، يتحدث فيه عن منزلة المؤمن في قبره وفرحه بلقاء ربه، وشيده بالآثار الواردة في ذلك.

---

(١) درة الحجال في أسماء الرجال جـ ١، ص ٢١١.

وله تحذير الخواص من أكاذيب القصاص.

وله: تنوير الحلك في رؤية النبي والملك.

وله: عقيدة المسلم المعروف بالاقتصاد وهو شرح لمتن الكوكب لوقاد لعلم الدين السخاوي المتوفى سنة ٦٤٣ هـ.

والتصوف الذي يتحدث عنه السيوطي هو التصوف العملي المشرق الذي يأخذ بيد صاحبه الى مدارج الكمال ولس هو تصوف أهل الدعاوى والمقلدين الذين يتكسبون بالدين. قال الشيخ محمد عبد المنعم خاطر: «يظهر أن جلال الدين كان من مريدي الصوفية الحقة»[1].

وقد علمنا أنه لم تعجبه تصرفات الصوفية الذين كانوا في خانقاه البيبرسية وقطع عطاءهم لمخالفة سلوكهم الصوفي مع شرط الواقف ولقي بسبب ذلك متاعب جمة ولكنه لم يتراجع عن موقفه لأن الحق كان رائده.

وكان هو في سلوكه العملي قدوة كاملة في السلوك الصوفي الحميد زاهداً ورعاً كثير العبادة والتهجد، عفيفاً عالي الهمة متقشفاً لا يعلق همته بغير الله تعالى.

وفي رسالة عقيدة السملم يشير إلى بعض أخلاق الصوفية التي تظهر في:

إعتزال اللهو واللعب والحزن فقد كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ متواصل الأحزان دائم الفكر ـ رواه الترمذي ـ وهذا بسبب

---

(١) جلال الدين السيوطي ص ٦٣، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية

مشاهدة التقصير من النفس في جنب الله والبكاء من خشية اللّه والاكثار من تلاوة القرآن وأداء الحقوق والاخلاص وغير ذلك من محامد الصفات[1].

لقد انتقد السيوطي في حياته بالنسبة للتصوف شيئين: أحدهما: جهل كثير من ينسبون إلى التصوف وعدم معرفتهم حقائقه وعدم تمسكهم بآدابه وعدم تمرسهم بالعلوم المختلفة ويمكن ادراك ذلك مما لقيه من صوفية الخانقاه ومما ورد في كتابه المزهر فقد سأل كثيراً من صوفية عصره عن معنى قول ابن الفارض:

صار وصف الضر ذاتياً له    عن عناء والكلام الحر لي

قال: رضي اللّه عن سيدي عمر بن الفارض، ما كان أوسع علمه باللغة وذكر البيت السابق. ثم قال: ولما شرحت قصيدته هذه ما وجدت من يعرف منها إلا القليل ولقد سألت خلقاً من الصوفية عن معنى قوله: والكلام الحر لي فلم أجد من يعرف معناه حتى رأيت هذا الكلام في أمالي ثعلب: يقولون لا يدري الحو من اللو ولا الحي من اللي أي لا يعرف الكلام الذي يفهم من الذي لا يفهم.

وثانيهما: خبط كثير من العلماء في حق المحققين من الصوفية والوقوف عند ظاهر كلامهم دون أن يتعمقوا في فهمه فيرمونهم بالنكير وقد حمل بعضهم على ابن عربي وعلى ابن الفارض وكان السيوطي من المدافعين عن هؤلاء الأعلام المحققين وألّف في ذلك عدة كتب منها: «قمع المعارض في نصرة ابن الفارض» و «تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربي».

(١) راجع عقيدة المسلم، ص ٣٦.

ويقول عن الصوفية المحققين: «هم خيار الأمة والأنوار التي تضيء في ظلمة وبهم تفرج كل غمة وتزاح كل ملمة. . . بحور العلم أوتاد الأرض ملوك الخلق أقمار الزمان لو أقسم أحدهم على اللّه لأبر قسمه ولو سأله أن يزيل جبلاً عن مكانه لهدمه وان تقوم الساعة حتى يقبضوا كلهم قد تولى اللّه أمرهم، قال اللّه تعالى فيما رُويَ من الأحاديث القدسية: ﴿من أذى لي ولياً فقد أذنته بالحرب. . .﴾ (٩).

لقد كانت مؤلفات السيوطي العديدة ثمرة من ثمار ورعه وإخلاصه وبركة من بركات هذا الاخلاص لله وكرامة أكرمه اللّه بها وفاء لما بذله من جهد لم يرج من ورائه الا خدمة الإسلام والمسلمين، وابتغاء وجه اللّه بهذا العلم الغزير.

## ٣٧ ـ السيوطي الأديب:

وقد رزق اللّه السيوطي قلماً سيالاً وقريحة صافية ومادة علمية سخية وأُسلوباً مواتياً في التعبير وموهبة معينة على حسن الأداء كان من نتاج ذلك تلك المئات من الكتب والرسائل وجميعها بأسلوب رائق لا تعقيد فيه ولا التواء.

انه كان يكفي أن يمسك بالقلم فيفيض اللّه عليه ما شاء فيكتب في جلسة واحدة ما يحتاج إليه غيره من أيام وشهور. ذكر ابن العماد في الشذرات أنه كان آية كبرى في سرعة التأليف، قال عنه تلميذه الداودي: عاينت الشيخ وقد كتب في يوم واحد ثلاث كراريس تحريراً وتأليفاً وكان مع ذلك يملي الحديث ويجيب عن المتعارض بأجوبة حسنة.

وذكر الشهاب أحمد بن قاسم البوني أن شيخاً لـه سماه من أهـل المغرب أخبره أن جلال الدين السيوطي شرح مختصـر الخليل وهـو حبيس في رواق سيدنا عثمان بالمدينة المنورة.

ولعل في ذلك رداً على من أنكر أن كل هذه المؤلفات التي حررها من تأليفه، هذا فضل اللّه يؤتيه من يشاء.

إن أسلوب السيوطي في مؤلفاته يشهد له بالموهبة الأدبية وله قطع نثرية رائعة يمكن أن تستشهد بها إذا شئت بما تعثر عليه في تضاعيف مؤلفاته ومقدمات كتبه وتشهد لملكته الأدبية وذوقه الغني بما يذكره في مؤلفـاته من استشهـادات وما يختـاره من شعر الشعـراء ونثـر الأدبـاء واختيـار المرء قـطعة من عقله كمـا يقولـون. ذكـر في كتـابـه حسن المحاضرة عند وصف جزيرة الروضة ما قاله علي بن سعيد في كتابه «المغرب» ومنه «وكنت أبيت بعض الليالي في الفسطاط على ساحلها فيزدهيني ضحك البدر في وجه النيل أمام سور الجزيرة الدري اللون فلم ينفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة وفي داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت اليه همة بانيها... ثم يقول: وصعدنا إلى جهة الصعيد ثم انحدرنا واستقبلنا هذه الجزيرة وأبراجها تتلألأ والنيـل قد انقسم عنها فقلت:

| | |
|---|---|
| تـأمل بحسن الصـالحيـة إذ بـدت | منـاظـرهـا مثـل النجـوم تـلالا |
| وللقلعـة الغـراء كـالبـدر طـالعـا | يفـرج صـدر المـاء عنـه هـلالا |
| ووافى إليهـا المـاء من بعـد غيبـة | كما زار مشغـوفـاً يـروم وصـالا |
| وعـانقها من فـرط شوق وحسنهـا | فمـد يمينـا نحـوهـا وشـمالا[1] |

---

(١) حسن المحاضرة، جـ ٢.

يقول د. مصطفى الشكعة: «السيوطي عالم موسوعي جليل من علماء هذه الأمة السباقة الى التأليف في ميادين كثيرة من فنون المعرفة الاسلامية وهو كعالم كبير وكمؤلف موسوعي واسع الأفق متشعب في نواحي المعرفة، يمتلك ناحية الكتابة وعدتها ومؤهلاتها فكان إسهامه متنوعاً يتراوح بين النثر العلمي المطلق والنثر الفني المستهدف موضوعات فكرية وقيماً أخلاقية. والنثر الفني المستهدف غايات إمتاعية وضروب من القول ابتكارية[1].

وهو بهذه المثابة قد استوفى ضروب النثر ويمكن الاستشهاد على أسلوبه النثري المشرق بما جاء في مقدمة كتابه الاتقان: «العلم بحر زخار لا يدرك له من قرار وطود شامخ لا يسلك إلى قنته ولا يصار، من أراد السبيل الى استقصائه لم يبلغ إلى ذلك وصولا ومن رام الوصول إلى إحصائه لم يجد إلى ذلك سبيلاً كيف وقد قال اللّه تعالى مخاطباً لخلقه ﴿وما أوتيتم من العلم الا قليلا﴾ وإن كتابنا القرآن فهو مفجر العلوم ومنبعها ودائرة شمسها ومطلعها أودع اللّه سبحانه وتعالى فيه علم كل شيء وأبان فيه كل هدى وغي». فانظر إلى هذا الأسلوب الجميل الذي تحليه سجعات غير متكلفة وتطرزه بزخرف أكسبه رشاقة وجمالاً، متبعاً في ذلك ما كان سائداً في عصره من استعمال البديع ولكن تمكنه من ناحية اللغة واتساع ثقافته جعل لأسلوبه مذاقاً آخر غير ما كان عليه أسلوب الكتابة المتكلف الذي أثقلته الصنعة وأرهقته الزينة اللفظية فأصبح شكلاً غير ذي موضوع ولو أنه على أي

---

(١) د. مصطفى الشكعة ـ السيوطي كاتب وأديب. جلال الدين السيوطي، ص ٢٩٠ هيئة الكتاب.

حال كان أفضل مما أصبح عليه الحال في العصر الذي تلا ذلك.

وللسيوطي مع ذلك نثر يبدو فيه التأنق مع عمق المعنى وصفا العبارة إقرأ له من الرسالة التي أسماها «ورد الكلم وغرر الحكم» التي تذكرنا بفصاحة أكثم بن صيفي في خطبه المطرزة بالحكم «ومن عرف الناس خص بالبلاء وأحاط به الرق والولاء. رب امرىء أوليته جميلاً فكان بالاساءة اليك حميلاً، السنة السنة ولو عليك الأسنة عليك بعلم الشريعة فإنه الى اللّه أقوى ذريعة أف للدنيا تقدم الجاهل وتؤخر الفاضل، الفاضل يرى ألم الكلام أشد من ألم الكلام رب ساكت أعلم من ناطق وساكن ليس له بارق» وله مقامات متعددة تذكر بمقامات الحريري وبديع الزمان الزمخشري وله مختارات شعرية تشهد بحسن ذوقه من ذلك ما ضمنه رسالة باسم: نزهة العمر في التفضيل بين البيض والسمر. وفي مختاراته في هذه الرسالة يختار بوجدان شاعر يدرك جمال القول والمعنى معاً ويحسن الفاصلة بين المعاني والأساليب ويدل على أن جلال الدين السيوطي في غزارة علمه وقوة ورعه هو في داخله إنسان يحس بالجمال ويتنفس بروح فنان ومن هذه المختارات قول البهاء زهير:

السمر لا البيض هم أولى بعشق راحق
وان تدبرت مقالي منصفا قلت: صدق
السمر في لون المها والبيض في لون البهق

وقول زين الدين محمد بن الحسن الأنصاري:

السمر أحسن بهجة وألذ في نظر العيون
ولهن أحلى نظرا وأشد شبهاً بالغصون

وقول الشريف الرضي :

أحبك يا لون الشباب فانني رأيتكما في العين والقلب تؤما
سواد يود البدر لو كان رقعة بجبهته أو شق في وجهه فما

هذا وللسيوطي شعر كثير أغلبه في نظم العلوم، ومنه ما يدور حول بعض المعاني الصوفية مثل :

أيها السائل قوما ما لهم في الخير مذهب
اترك الناس جميعا والى ربك فارغب

وقوله في الامام الشافعي :

ان ابن ادريس حقا بالعلم أولى وأحرى
لانه من قريش وصاحب البيت أدرى

وقوله في فضل املاء الحديث :

عاب الاملاء للحديث جال قد سعوا في الضلال سعياً حثيثاً
انما ينكر الامالي قوم لا يكادون يفقهون حديث

وقوله :

اعبد الله ودع عنك التواتي والهجود
ومن الليل فسبحه وأدبار السجود

ولا يخفى ما في هذه الأمثلة من تضمين جميل وقد رثى شيخه الشمني حين مات بقصيدة تعبر عن عاطفة صادقة نحو شيخه منها :

محقق كامل الآلات مجتهد وما عسى تبلغ الأبيات والسطو
وفي الحديث أياديه قد انتشرت آثارها وشذا فياحها العطر

سعى إليه قضاء العصر يخطبه ... فرده خاشئاً - زهداً - به حصر
له فصاحة سحبان وشاهدها ... اجماع كل الورى والنص والنظر
شيخ الشيوخ ولا أوحشت من سكن ... ولا عفا لك ربع زانه الخفر
حياتك الحق في الدارين ثابتة ... ما العالمون بأموات وإن قبروا
قطعت عمرك أما ناشراً لهى ... أو نافعاً لفتى قد مسه الضرر
أبشر بروح وريعان ودار رضا ... ورحمة وصفاء ما به كدر

ورثا شيخه شمس الدين الحنفي بمرثية قال فيها:

لم يكن في دينه وهن ... لا ولا للكبر منه ردا
عمره أفناه في نصب ... لا له العرش مجتهدا
من صلاة أو مطالعة ... أو كتاب الله مقتصدا
ليت شعري من نؤمله ... بعد هذا الحبر ملتحدا
ثلمة في الدين موتته ... ما لها من جابر أبدا

ويضع لنفسه منهجاً بعد أن رأى ما رأى من حسد الحساد وفساد الزمن فيقول:

إني عزمت وما عزمي بمنخرم ... ما لم يساعده تقدير من الباري
إلا أصحاب إلا من خبرتهم ... دهراً مقيماً وأزماناً بأسفار
ولا أجالس إلا عالماً فطناً ... أو صالحاً أو صديقاً لا باكثار
ولا أسائل شخصاً حاجة أبداً ... إلا استعادة أجزاء وأسفار
ولا أذيع ولا للعالم الفطن الصد ... يق ما يحتوي مكنون أسرار
ولا أصحاب عامياً وان شهدوا ... بأنه صالح معدوم أنظار
ولست أحدث فعلاً غير مفترض ... أو مستحب ولم يدخل بانكار
ما لم أقم مستخير الله متكلاً ... وتابعاً ما أتى فيها من آثار

وقال متشكياً:

طوبى لمن مات فاستراحا ونال من ربه فلاحا
ما نحن إلا في قوم سوء إذا هم قد بدا ولاحا[1]

ومن شعر العلوم قوله فيما يسن من الأشياء:

عن المصطفى سبع يسن قبولها إذا مابها قد أتحف المرء خلان
فحلو وألبان ودهن وسادة وزرق لمحتاج وطيب وريحان

وله فيمن كان يفتي من الصحابة في زمن الرسول ـ صلى اللّه عليه وسلم:

وقد كان في عصر النبي جماعة يقومون بالافتاء قومة قانت
أربعة أهل الخلافة منهم معاذ أبي وابن عوف ابن ثابت[2]

وهكذا فإننا نرى أن شعره كله أو أغلبه يدور حول المعاني الدينية والعلمية وهو متوسط الجودة. قال د. عبد الحكيم عتلم: له شعر أكثره متوسط وجيده كثير وغالبه في الفوائد العلمية والأحكام الشرعية وهو في هذه الناحية شبيه بابن حجر العسقلاني وجهتهما الحياة العلمية بعيداً عن الأدب الذي هو مزاج لنفسيهما فكان يعاودهما الفينة بعد الفينة وكل منهما تتراءى على شعره المسحة العلمية وان كان ابن حجر أرق وأغزل من السيوطي[3].

---

(١) الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، جـ ١، ص ٢٢٦.
(٢) من تاريخ النور السافر من أخبار القرن العاشر، ص ٥٤.
(٣) جلال لدين السيوطي ص ٣٠٩ ـ هيئة الكتاب.

ويعتبر الدكتور مصطفى الشكعة وهو رجل الأدب الذواقة من المتحمسين للسيوطي الأديب فهو يقول في بحثه عنه «الرأي في السيوطي الأديب والمؤدب أنه كان بليغاً ومترسلاً متفنناً ولم يكن كذلك في الشعر ولو أنه قدر لأعمال السيوطي الأدبية أن تنشر وحدها بمعزل عن آثاره العلمية المتعددة الموضوعات لكانت شاهد على أن السيوطي واحد من رجال الأقلام الأفذاذ في عصره وأنه في مقدمة كتاب زمانه ابداعاً وقدرة فقد قدم نماذج من الشعر العربي المصري على مساحة عدد من كتبه وهو بذلك يعتبر رائداً للدراسات الأدبية المصرية، ثم ألّف في صميم الدراسات الأدبية كتباً نفيسة على قدر رفيع من القيمة العلمية. . فإذا ما عرضنا السيوطي كاتب فهو كاتب مقالة من الطراز الممتاز وناثر حكمة ومبدع طرفة. . .».

وهي شهادة لها قدرها من رجل يعرف قيمة الكلمة في حق رجل استطاع أن يعطي للكلمة حقها ويضعها في موضعها ويخرج منها أفانين من القول ورياضاً من العلوم والفنون.

## ٣٨ ـ اجتهاده:

قال السيوطي في ترجمته الذاتية: وقد كملت عندي الآن آلات الاجتهاد بحمد اللّه تعالى، أقول ذلك تحدثاً بنعمة اللّه لا فخراً وأي شيء في الدنيا حتى يطلب تحصيلها في الفخر؟ وقد أزف الرحيل وبدأ المشيب وذهب أطيب العمر، ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفاً بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك، من فضل

اللّه لا بحولي ولا بقوتي فلا حول ولا قوة إلا باللّه، ما شاء اللّه لا قوة إلا باللّه[1].

ويستدعي هذا القول الحديث عن اجتهاده، ونقدم لـذلك ببيـان مفهوم الاجتهاد.

الاجتهاد لغة بذل الوسع في طلب المقصود واصطلاحاً استفـراغ الفقيـه الوسـع ليحصل لـه ظن بقضية أو حكم فقهي، ويكـون ذلك بالقياس على القرآن والسنة وفي حديث معاذ الذي ذكره لسان العرب «أجتهد وأي الاجتهاد» وقد رواه أبو داود والترمذي ومعنى قـوله: أي أبذل الوسع في طلب الأمر وذلك برد القضية من طريق القيـاس إلى الكتاب والسنة ولم يرد معاذ بالرأي الرأي الذي ارتآه من قبل نفسه من غير حمل على كتاب أو سنة. «فالرأي هنا هو الاجتهاد وقياس الأمور بأشباهها أو العمل بقواعد الشريعة العامة وهو ما يسمى الآن بقواعد العـدل الطبيعي ولا يقـدر على مثل هـذا الا العلماء الحـذاق الذين عنـدهم بصر بمـا تضمنه كتـاب اللّه وسنـة رسولـه»[2]. ولا يصبـح الاجتهاد معصوماً من الخطأ إلا إذا اتفق عليه المسلمون جميعاً فصار إجماعاً ولكن هذا المعنى للاجتهاد ضاق بمعنى الـزمن حتى أصبح يطلق على معنى خاص هو اجتهاد أولئك الذين لهم الحق في تقرير أحكام يجب أن يأخذ بها غيـرهم كأئمـة المذاهب اذ كـان كل منهم مجتهداً مطلقاً في ضوء الكتاب والسنة والقياس والاستحسان، وجاء بعدهم من حذا حذوهم في حدود المذهب الذي يقلدونه ولكنه كان

(١) حسن المحاضرة، جـ ١.
(٢) الشيخ عبد الرحمن حسن ـ دائرة معارف الشعب ٣/ ٤.

يـظهر بين الحين والحين من ينكـر الجمود ويعـودون بالاجتهـاد الى معناه الحقيقي فيسوغون لأنفهسم أن يجتهدوا برأيهم معتمدين على النصـوص الأولى. قالت دائـرة المعارف التي استمـدونا منهـا هـذا التعـريف: ومن هؤلاء ابن تيمية المتـوفى عام ٧٢٨ هـ وهـو حنبلي المذهب، والسيوطي المتوفى عام ٩١١ هـ الذي اجتمع له مع صفة الاجتهاد أنه مجدد عصره وقد ذهب السيوطي إلى أنه يجب ألا يخلو زمن من مجتهد واحد على الأقل كما يجب أن يكـون على رأس كل مائة سنة مجدد[١]. وذكر السيوطي في تـرجمة شيـخ الاسلام سـراج الدين عمر البلقيني أنه انتهت اليه رتبـة الاجتهاد ولـه ترجيحـات في المذهب الشافعي خلاف ما رجحه النووي وله اختيارات خارجة عن المذهب. قال وسمعت ولـده شيخنا علم الـدين يقول: ذكـر الشيخ كمال الدين الدميري أن بعض الأولياء رأى قائلاً يقول: ان اللّه يبعث على رأس كل مائة لهذه الأمة من يجدد لها دينها بدئت بحمد وختمت بعمر. قال السيوطي: ومن اللطائف أن شرط المبعوثين على رؤوس القرون مصريون: عمر بن عبد العزيز في الأولى والشافعي في الثانية وابن دقيق العيـد في السابعـة والبلقيني في الثامنـة وعسى أن يكون المبعوث على رأس المائة التاسعة من أهل مصر[٢].

وذكر العاملي في الكشكـول هذا الحـديث المشار اليـه «أَنَّ اللّه يبعث...».

وقال: رواه أبو داود عن أبي هريرة. وقال: قال جامع الأصول قد

(١) دائرة المعارف الاسلامية مادة اجتهاد.
(٢) حسن المحاضرة، ١/١٥.

تكلم العلماء في التأويل وكل واحد أشار الى المقام الذي هو مذهبه وحمل الحديث عليه، والأولى الحمل على العموم فإن لفظة من تقع على الواحد والجمع ولا تختص بالفقهاء، فإن انتفاع الأمراء بالفقهاء وإن كان كثيراً فإن انتفاع هؤلاء بأولي الأمر وأصحاب الحديث والقراء والوعاظ والزهاد أيضاً كثير(1). وعدد أعلاماً من هؤلاء المجتهدين في كل صنف.

وقال الشيخ المحدث محمد الحافظ التيجاني في ترجمته للسيوطي: لا شك أن الحافظ السيوطي من المجددين ويصح أن يكون في عصره غيره من المجددين ولا ينكر فضل السخاوي في تمكنه في علل الأحاديث ونقد الرجال وكلاهما فاضل انتفعت به الأمة.

وقال أبو الحسنات محمد بن عبد الحي اللكنوي في حواشيه على الموطأ بعد أن ذكر السيوطي: وتصانيفه كلها مشتملة على فوائد لطيفة وفرائد شريفة تشهد كلها بتبحره وسعة نظره ودقة فكره وأنه حقيق بأن يعد من مجددي الملة المحمدية في بدء المائة العاشرة وآخر التاسعة كما ادعاه بنفسه وشهد بكونه حقيقاً به من جاء بعده كعلي القاري في المرآة شرح المشكاة فقد قال القاري: شيخ شيوخنا السيوطي هو الذي أحيا علم التفسير في الدر المنثور وجمع جميع الأحاديث المتفرقة في جامعه المشهور. وما ترك فناً الا فيه له متن أو شرح مسطور بل وله زيادات ومخترعات يستحق أن يكون هو المجدد في القرن العاشر كما ادعاه وهو في دعواه مقبول ومشكور(2).

---

(1) الكشكول للعاملي ص ١٩٩.

(2) مقدمة جمع الجوامع.

## ٣٩ ـ عصر السيوطي:

كان أهم ما يشغل بال السيوطي العلم، يتعلمه ويعلمه، وقد وصل فيه إلى درجة كبيرة أهله لها نبوغه ومواهبه المتعددة، وكان يشغل وقته بالتأليف إلى جانب قيامه بالطلب أو التدريس أو الافتاء، حتى أنه لقد ألف وهو في سن السابعة عشرة. يقول في حسن المحاضرة: أجزت بالتدريس في العربية في مستهل سنة ست وستين وقد ألّفت في هذه السنة فكان أول شيء ألّفته شرح الاستعاذة والبسملة وأوقفت عليه شيخنا علم الدين البلقيني فكتب عليه تقريظاً.

ولا يكتب البلقيني تقريظه اعتباطاً، ولولا أنه رأى في تلميذه نبوغاً غير عادي وتفوقاً كبيراً ما جمع له بين التقريظ والاجازة بالتدريس والافتاء.

وظل السيوطي يقوم بمهمته في التدريس متمتعاً برضاء طلابه عنه ورضاء الدولة أيضاً، وكانت في مصر مدارس ـ كما أشرت سابقاً ـ عامرة بالطلاب والعلماء، وينافس بعضها بعض في القاء العلم وتلقيه الى جانب الأزهر الذي كان جامعة يفد إليها الطلاب والعلماء من أنحاء الأرض.

كان للسيوطي دور مرموق يشهد بذلك ما كان له من منزلة في نفوس الحكام والخلفاء والأمراء، ومن مراسم الدولة أنه كان يتولى أمر كل مدرسة من المدارس العلمية شيخ من الشيوخ الأجلاء المشهود لهم بطول الباع ورسوخ القدم في العلم.

جاء في كتاب النور السافر في أخبار القرن العاشر أن السيوطي ولي المشيخة في مواضع متعددة في القاهرة قبل أن يزهد في كل ذلك.

ويمكن إجمال المناصب التي تولاها السيوطي فيما يأتي: درس الفقه في الجامع الشيخوني.

تولى الافتاء والاملاء الحديث في جامع ابن طولون.

## ٤٠ ـ ثورة الخانقاه:

وظل السيوطي شيخاً على الخانقاه والمدرسة البيبرسية حتى تولى السلطان طومان باي. ولم تكن العلاقة بين السيوطي وطومان باي على ما يرام، وربما شجعت هذه العلاقة السيئة صوفية الخانقاه على الثورة ضد السيوطي ثورة عنيفة سنة ثلاث وتسعمائة حتى كادوا أن يقتلوه وحملوه بأثوابه ورموه في الفسقية، وجرى بسبب ذلك أمور يطول شرحها ـ كما يقول ابن إياس[٢] ـ وقد ذكر النبهاني في كتابه جامع كرامات الأولياء نقلاً عن الشعراني في ترجمته للسيوطي سبباً لثورة الصوفية هذه فقال: وكان أصل ذلك أنه أمرهم بمعروف لما تولى الشياخة على الخانقاه البيبرسية، فرآهم لا يحضرون لا بأنفسهم ولا بنائبهم، ولهم عبيد وبغال وسواري وأموال، فقال: شرط الواقف أن الخبز والجواميك انما هي للفقراء المحتاجين الذين اجتمعت فيهم شروط الصوفية المذكورة في رسالة القشيري وغيرها، فتجمعوا على الشيخ وضربوه ورموه في الميضاة بثيابه فعزل نفسه وحلف ألا يسكن مصر ما عاش فأقام في روضة مقياس النيل حتى مات[٣].

---

(١) بدائع الزهور، ص ٦٠٢.
(٢) جامع كرامات الاولياء، جـ ٢، ص ١٥٦.
(٣) تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ، جـ ٣، ص ٨٩٨

لقد أراد السيوطي ـ لورعه ـ أن يصلح ما أفسده الزمان ولكن الاصلاح قد استعصى عليه، لأن الفساد كان قد استشرى وأصبح حال السيوطي كمن ينفخ في رماد، وهذا الرماد أذاه بما لم يكن في الحسبان. قال الاستاذ عمر فروخ: أراد السيوطي ـ فيما يبدو أن يسير في ادارة الخانقاه بالحق والعدل، وأكثر الناس يطلبون المنافع من أي الوجوه جاءت ثم لا يبالون بالحق والعدل فشغب عليه الطلاب بتحريض من نفر من أعدائه، وذلك في الثاني عشر من رجب سنة ست وتسعمائة، فهجر التدريس كله واعتزل الناس في بيته بروضة المقياس منقطعاً للعبادة والتأليف حتى أتاه اليقين[1]. وهذا ما قال أيضاً الدكتور ابراهيم أحمد العدوي في بحثه عن السيوطي، وأكد أنه قلب للصوفية ظهر المجن لما تأكد له أنهم منحرفون عن الدين الصحيح، وأضاف: أن الخصومة كانت شرسة وكان الباطل أقوى من أن يقف الحق الذي حمل السيوطي لواءه أمامه فقاضوه وحاكموه واتهموه ظلماً بأنه طامع في ايرادات الخانقاه وعزلوه.

ولكن الواقع أنه عزل نفسه ولزم داره وآثر السلامة بدينة وعرضه، وألف في ذلك كتاباً سماه: التنفيس في ترك الفتيا والتدريس.

وشتان بين تصرف السيوطي هذا وزهده في المناصب وبين سعي غيره بالرشوة لتولي المناصب، واقرأ ما كتبه ابن إياس عما دفعه بعض القضاة في حوادث سنة ست عشرة وتسعمائة من مال وفير تقدر قيمته بخمسة آلاف دينار ليقرره السلطان في مشيخة الخانقاه البيبرسية،

---

(١) جلال الدين السيوطي هيئة الكتاب، ص ١١٠.

يتقرر فعلاً، وضم اليه مشيخة الشريفية والخشابية مع ذلك، ولم يتكلم أحد من العلماء ضد ذلك في الوقت الذي سبق أن ثارت ثائرتهم على السيوطي حين أسند إليه الخليفة المنصب الذي سبقت الاشارة اليه.

## ٤١ ـ الخانقاه البيبرسية:

وكانت الخانقاه البيبرسية أجلّ خانقاه بالقاهرة بنياناً وأوسعها مقداراً وأتقنها صنعة، بناها الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري قبل أن يلي السلطنة وهو أمير، وبدأ في بنائها سنة ست وسبعمائة، وبنى بجوارها رباطاً كبيراً يتوصل اليه من داخلها. ولما شرع في بنائها لطف بالناس ورفق بهم ولم يعسف فيها أحداً في بنائها ولا أكره صانعاً ولا غصب من آلاتها شيئاً واكتمل بناؤها سنة تسع وسبعمائة وقرر بها أربعمائة صوفي، وبالرباط مائة من الجند وأبناء الناس الذين قعد بهم الوقت. وجعل بها مطبخاً يفرق على كل منهم في كل يوم اللحم والطعام وثلاثة أرغفة من خبز البر وجعل لهم الحلوى ورتب بالقبة درساً للحديث النبوي له مدرس وعنده عدة من المحدثين ورتب القراء بالشباك الكبير يتناوبون القراءة فيه ليلاً ونهاراً. ووقف عليها عدة ضياع بدمشق وحماة ومنية المخلص بالجيزة وبالصعيد والوجه البحري وغيرها، وتعرضت الخانقاه لما تتعرض له المنشآت من أحداث حتى بطل طعامها وتعطل مطبخها في فترة من الزمن، ثم عاد إليها بعض بهجتها وهيبتها حتى قال المقريزي: قد أدركتها ولا يمكن بوابها غير أهلها من العبور اليها والصلاة فيها لما لها في النفوس من المهابة ويمنع الناس من دخولها حتى الفقهاء والأجناد

وكان لا ينزل بها أمر، وفيها جماعة من أهل العلم والخير، وقد ذهب ما هنالك، فنزل بها اليوم عدة من الصغار ومن الأساكفة والعامة إلا أن أوقاتها عامرة وأرزاقها دارة بحسب نقود مصر[1] وما زال الصغار يصغرون بعده المقريزي حتى نزلها من الناس من لا ينتسبون إلى التصوف أو كانوا ينتسبون اليه وخرجوا على تعاليمه، فلم تعد تنطبق شروطه عليهم.

أما الشروط التي بمقتضاها يصبح الصوفي صوفياً وبها يستحق أوقاف الخانقاه على حسب شرط الواقف، فهي تلك الشروط التي أشار إليها القشيري في رسالته المشهورة وتتلخص في ملازمة المجاهدة والتقوى والورع وقطع العلائق وعدم التطلع ووجوب الخشوع والتواضع وترك الشهوة والطمع والتأدب بالقناعة والتوكل والشكر والصبر واليقين وغير ذلك من صفات المتيقن.

## ٤٢ ـ احتساب السيوطي ومدافعة اللّه عنه:

قال الشعراني ـ فيما يرويه النبهاني ـ: حكى لي الأخ الصالح الشيخ شعيب خطيب جامع الأزهر رحمه اللّه قال: دخلت على الشيخ جلال الدين السيوطي وهو محتضر فقبلت رجله وسألته الصفح عمن كان آذاه من الفقهاء فقال: يا أخي قد سامحتهم من حين وقعوا في حقي وانما أظهرت لهم التشويش والعداوة بسبب ذلك وصنفت كراريس في الرد عليهم لئلا يتجرءوا على أعراض غيري من الناس فقال الشيخ شعيب: وهذا هو كان الظن بكم. وحكى الشعراني قال:

---

(١) خطط المقريزي جـ ٣، ص ٤٠٤، ط دار التحرير.

رأيت شخصاً ممن قال ضربته بقبقابي على كتفه في أسوأ الأحوال، استولت عليه نفسه في أكل الشهوات مع افلاسه فكان ينصب على كل من رأى معه دجاجاً أو أرزاً أو سكراً أو عسلاً ويقول: يعني ذلك ثم يذهب به الى البيت ويأكل ذلك ويختفي حتى يزهد صاحب ذلك المتاع من طول التردد ويصير ذلك في ذمته إلى يوم القيامة، ولما مات لم يتبع جنازته أحد نسأل الله العافية.

ومما أخبرني به أيضاً قال: لما عجزنا عن أذاه ـ يعني السيوطي ـ بوجه من الوجوه اجتمعنا نحو عشرة أنفس ودخلنا عليه وقلنا يا سيدي قدراتنا كنا كفاراً وأسلمنا وقد، استخرنا الله تعالى أن نقرأ عليكم فلعل أن يحصل لنا خير، قال: وصرنا نقرأ عليه سنة وهو متحرز منا فلما كان بعد سنة أذاه بعض الناس فقمنا عليه وأظهرنا للشيخ شدة المحبة فركن الينا فقلنا: يا سيدي أنتم بحمد اللّه من أهل الكشف ومقصودنا تخبرونا بشيء من وقائع الولاة لنظهر على المنكرين عليكم بذلك إذا صح فلعلهم يتوبون كما تبنا فيحصل لهم الخير فسكت الشيخ ساعة ثم قال: إن جان بلاط يضرب عنقه في يوم الأحد سابع عشر جمادي الأول ويتولى بعده فلان. فأخذوا خط الشيخ بذلك ومضوا به إلى جان بلاط وأشاعوا الخبر بذلك في مصر فحصل للملكة انزعاج فقال جان بلاط عليّ به أقتله قبل أن أقتل، فطلبوا الشيخ فاختفى نحو سبعة وأربعين يوماً ضربت عنق جان بلاط كما قال. قال النبهاني: وقد ذكر ذلك الشعراني في كتابه العهود(1).

ويشير الشعراني بذلك إلى أنه مما أخذ على الأولياء من العهود ألا

---

(١) جامع كرامات الأولياء، جـ٢، ص ١٥٦.

يخبروا بما يقع لهم من كشوف لما يترتب على هذا الاخبار من فتن. وكأنه ينتقد السيوطي في اخباره بما كشف له. ويصف ابن إياس جان بلاط بأنه كان أرشد غليظ القلب قليل الحظ عسوفاً ظلوماً حصل منه في مدة سلطنته للناس غاية الضرر من المصادرات وأخذ الأموال، ولو أقام في السلطنة لحصل للناس منه غاية المشقة من الظلم والأذى وقد آل أمره الى أن خنق وهو مسجون بالبرج بالاسكندرية وكان قد خلع في جمادي الأول سنة ست وتسعمائة ولم يشر ابن إياس إلى تلك القصة التي ذكرها الشعراني ونقلها النبهاني، ولكنه أشار إلى اختفاء جلال الدين السيوطي في عهد طومان باي وقال: إنه طلب السيوطي ليفتك به وكان بينهما حظ نفس من حين كان السلطان العادل في الداوادارية الكبرى وجرى بينهما أمور شتى يطول شرحها.

وربما كان الشعراني يقصد طومان باي بخبره الذي نقله لاجان بلاط وتولى المشيخة في الخانقاه البيبرسية بدلاً من السيوطي الشيخ يسن البلبيسي.

## ٤٣ ـ عزوف السيوطي عن المناصب:

ولم تكن المناصب تشغل بال السيوطي، لأن ذهنه ووقته كانا مشغولين بالعلم، ورجل يترك هذه المؤلفات العديدة التي تزيد عدتها على الخمسمائة لا يمكن أن يكون لديه متسع من الوقت ينفقه في مسائل إدارية وما يتصل بها من تصريف أمور وتدبير شؤون، فإذا ما جاء المنصب عفوياً فلا بأس على شرط ألا يكون وراءه شواغل جانبية تخرج بالمنصب عن حدوده المرسومة.

ولكن المكانة العلمية لها تبعاتها مع كل ذلك، فلا بد من مقابلة

السلطان والأمراء والصعود الى القلعة في المناسبات المختلفة وحضور الاحتفالات التي تقيمها الدولة وغير ذلك. ومن ذلك على سبيل المثال ما أشار اليه ابن إياس في حوادث سنة تسع وتسعين وثمانمائة من أن القضاة الأربعة صعدوا في المحرم الى القلعة للتهنئة بالعام الجديد، وصعد أيضاً الشيخ جلال الدين السيوطي، فلما جلس سأله السلطان عن أي سنة سنها النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يفعلها؟ فلم يجبه الشيخ جلال الدين عن ذلك بشيء مع غزارة علمه وقوة اطلاعه، وكان السلطان عنده كتاب يسمى حيرة الفقهاء، ثم أجاب الشيخ جلال الدين بعد ذلك بجواب حسن كاف في هذه المسألة بأنه قصد بذلك الأذان فإنه سنه ولم يفعله، والأصح أنه أذن في وقت وورد في ذلك حديث، وعمل في هذه المسألة كراساً مطولاً وذكر فيه أشياء كثيرة مما سنّه النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يفعله[1].

ولكنه في صعوده للسلطان لم يكن يلتزم بالتقاليد المتبعة في ذلك الوقت من الالتزام بزي معين في أثناء مقابلة السلطان. وقد توجه مرة الى السلطان قايتباي وعلى رأسه طيلسان، وكانت التقاليد المرعية ألا يصعد أحد بطيلسان إلى مجلس السلطان فعوتب على ذلك فأصر على موقفه، وألّف في ذلك رسالة «الأحاديث الحسان في فضل الطيلسان».

ورفض بعدذلك أن يذهب مع العلماء لتهنئة السلطان بالشفاء من مرض ألمّ به محتجاً في ذلك بأن عدم طلوع العلماء سنة.

---

(١) بدائع الزهور، ص ٥٧٦.

وكما أن تبعات المنصب ألزمته مرات بالصعود الى السلطان فإن هذه التبعات كانت تلزمه أيضاً حضور بعض الاحتفالات التي تجرى بين الحين والحين في المناسبات المختلفة ومن المناسبات الأعياد كعيد الفطر وعيد الأضحى ووفاء النيل وكسر سد الخليج.

وفي حوادث سنة ست وتسعين وثمانمائة يذكر ابن إياس أنه في شوال ليلة عيد الفطر كان وفاء النيل المبارك فأمر السلطان فتح السد في ذلك اليوم وفتح في اليوم الثاني من شوال ووافق ذلك خامس عشر مسرى القبطي، فصار العيد عيدين فعد ذلك من النوادر وفي هذه الواقعة يقول شيخنا جلال الدين السيوطي هذه الأبيات:

يوم عيد الفطر وافى بهناء وسعادة
ختم الصوم وأوفى الـ ـنيل في أحسن عادة
يا له من يوم عيد فيه حسنى وزيادة[1]

وتسجيل الأحداث شعراً يدل على رخاء حال وفراغ بال، أي فراغ بال من الهموم التي تشتت الذهن وتصرف الخاطر عن جد الأمور لم تكن الخصومة التي شنها سكان الخانقاه قد استفحلت ووصلت الى الحد الذي وصلت اليه، ولكن الهموم أحياناً تدفع الشاعر الى التنفيس عما في نفسه، والشعراء المطبوعون يجيء شعرهم من جيشان عاطفتهم وتدفق مشاعرهم، وفي عصر السيوطي كان الشعراء يجيدون التعبير عما في نفوسهم وكان السيوطي يجاريهم أحياناً ـ في عهد الغوري سنة ٩١٠ هـ فشا وباء الطاعون في مصر واشتد خطره

(١) الاشراف قانصوه الغوري ـ محمود رزق سليم، ص ١٨.

وأخذ يفتك بالناس فتكاً ذريعاً حتى جأر الناس بالشكوى إلى الله والاستغاثة به مما حل بهم، وقد نظم السيوطي في ذلك قصيدة منها:

يا رب بالهادي النبي المجتبى أغمد عن الإسلام أسياف الوبا
يا رب لا نشكو أليم عذابه الا إليك فقد أخاف وأرعبا

وعلى كل فلم يكن السيوطي بعيداً عن معترك الاحداث، وكان يشغله كل أمر يجري في الدولة حتى ولو كان في ظاهر الأمر صغيراً بما في ذلك الأمور التنظيمية التي تخص السلطان أو من يتولى ما يشبه في عصرنا مسائل الاسكان والمرافق وقد رأى السيوطي أن الناس في عصره قد فكروا في الاعتداء على حرمة النيل بالبناء على شاطئه ورأى أن في ذلك تعطيلاً لمهمته. لقد أجراه اللّه رزقاً للعباد ومسيلاً رائقاً للماء وعوناً على تلطيف الجو وتنقية الهواء، فما بال بعض الناس يحتكرونه لأنفسهم؟ قال ابن إياس: اشيع بين الناس أن الشيخ جلال الدين الأسيوطي أفتى بأنه لا يجوز البناء على ساحل الروضة لأن الاجماع منعقد على منع البناء في شطوط الأنهار الجارية، وأما ما ذكر أن ذلك يجوز في مذهب الامام الشافعي - رضي اللّه عنه ورحمه - فباطل وليس له صحة في كتب الشافعية قاطبة.

ولو تحدث عالم في عصرنا بذلك لوجد من الألسنة من تقول له: لماذا تقحم نفسك فيما لا شأن لك به؟ ولكنها الأمانة العلمية هي التي أوجبت على السيوطي أن يدلى برأي الدين في مسألة تهم الناس وقد أدرك بفطنته ما يترتب على تجاوز رأي الدين في هذه السألة من أضرار كبيرة أقلها التلوث الذي يصيب هذا الشريان المائي الذي تقوم عليه

حياة الناس والمخلوقات، وقد تنبه لهذا المفكرون في عصرنا ولكن بعد فوات الأوان وبعد أن ضيق المنتهزون الخناق على النيل فأرهقوا شواطئه بما أقاموه عليها من منشآت متعددة الأغراض والأصناف وكثير منها يقذف بحممه في هذا النيل العظيم.

## ٤٤ ـ جدال يثير الحفائظ:

وكان من الممكن أن يظهر ـ كما هو الشأن في المجتمعات ـ من يثير جدالاً حول موضوع قديم. ويطول الكلام حول هذا الموضوع، وقد يتطور النقاش الى حد التكفير والتفسيق.

ومن هذا القبيل ما حدث في سنة خمس وسبعين وثمانمائة في عهد السلطان المحمودي من إثارة جدل حول ايمان عمر بن الفارض ـ رضي اللّه عنه ـ في بعض أبيات قالها في تأنيته الكبرى توحي بالمحلول والاتحاد في زعم بعضهم. وكان على رأس من تعصب عليه برهان الدين البقاعي وقاضي القضاة محب الدين بن الشعنة وولده عبد البر وقاضي القضاة عز الدين الحنبلي ونور الدين المعلي وتبعهم جماعة من طلبة العلم ينادون بتكفيره.

ودافع عنه من العلماء الشيخ محي الدين الكافيجي الحنفي والشيخ قاسم الحنفي والشيخ بدر الدين بن الغرس والشيخ نجم الدين ابن يحيى بن حجر والشيخ جلال الدين السيوطي والشيخ زكريا الأنصاري.

وقد ألّف السيوطي في ذلك كتاباً يرد فيه على المعارضين لابن

الفارض سماه: قمع المعارض في الرد على ابن الفارض. كما ألّف ابن الغرس كتاباً أسماه: درياق الأفاعي في الرد على البقاعي[1] ويبدو أن إثارة الجدل حول مثل هذه القضايا كان سمة من سمات العصر. فقد ألف السيوطي كتاباً اسمه: تنبيه الغبي الى تبرئة ابن عربي، وكتاباً آخر اسمه: درج المعالي في نصرة الغزالي على المنكر المتغالي.

ونبش الماضي عادة يكون مظهر فراغ ثقافي أو ديني ومحاسبة الناس بعد موتهم وهم بين يدي اللّه تعالى تطفل جريء وتدخل فيما لا يعني.

وقد ذكر ابن إياس في حوادث سنة سبع وسبعين وثمانمائة ما يدل على أن برهان الدين البقاعي أحاطت به خطيئته وهو الذي تولى كبر اثارة الجدل حول قضية ابن الفارض قال: وفيه من الوقائع أن البرهان البقاعي وقاضي الجماعة أبو عبد اللّه الفلجاني المغربي المالكي وقع بينهما بحث في بعض المسائل، فوقع من البرهان البقاعي في هذا المجلس جواب ضبطه عليه قاضي الجماعة وصرح بكفره وأشهد عليه، وأراد أن تقام عليه الدعوى عند قاضي القضاة المالكي فلما علم كاتب السر ابن مزهر بذلك طلب البقاعي عنده وحكم بعض القضاة بحقن دمه ولولا كاتب السر ما حصل للبقاعي خير. قال ابن إياس: والذي جرى على البقاعي كان بسبب تعصبه على سيدي عمر بن الفارض، واستمر البقاعي في عكس حتى مات[2].

كما ذكر أنه عقيب ذلك عزل ابن الشحنة عن قضاء الحنفية وحصل

---

(١) قايتباي المعمودي ص ٤١.
(٢) بدائع الزهور في وقائع الزهور، ص ٤٦.

له عقيب ذلك فالج وذهل وسلب من العلم[1].

## ٤٥ ـ اعتراض وامتحان:

يقول ابن إياس: ولما بلغ القضاة ذلك شق عليهم واستخفوا عقل الخليفة في ذلك وقالوا: ليس للخليفة مع وجود السلطان حل ولا ربط ولا ولاية ولا عزل ـ ولكن الخليفة استحق بالسلطان لكونه صغيراً ـ وكان السلطان هو الناصر أبو السعادات محمد بن الأشرف قايتباي المحمودي ـ فلما قامت الدائرة والألسنة على الخليفة رجع عن ذلك وقال: ايش كنت أنا؟ الشيخ جلال الدين هو الذي حسن لي ذلك وقال لي: هذه كانت وظيفة قديمة وكان الخلفاء يولونها من يختارونه من العلماء، ثم أشهدوا على الخليفة بالرجوع عن ذلك، وبعث أخذ العهد الذي كتبه للشيخ جلال الدين السيوطي وكادت أن تكون فتنة كبيرة بسبب ذلك، ووقعت أمور يطول شرحها ثم يسكن الحال بعد مدة[2].

وهذه القصة التي ذكرها ابن إياس تشير الى أن السيوطي كان طامعاً في المناصب بحيث أنه زين للخليفة ما أراد أن يصل اليه، وهذا بخلاف ما هو معروف عن السيوطي وأخلاقه في الزهد والتواضع، حتى لقد زهد في المناصب جملة واعتزل الناس ورفض عطايا السلاطين والأمراء.

كما تشير الى ضعف شخصية الخليفة ـ وهو وإن كان أمراً واقعاً لأن

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٢٢.
(٢) حسن المحاضرة، ١/٢٢٧.

الخلافة العباسية كانت اسمية ولم تكن فعلية ـ إلا أن الأمر ربما كان أبعد من ذلك.

وتشير الى مدى التحاسد الذي يكون بين العلماء أحياناً حتى يأنفوا أن يتصدر أحدهم عليهم ولو كان جديراً بالتصدير، وربما كان هذا هو السبب وراء ثورة العلماء.

فالظن بالسيوطي ـ في ضوء أخلاقه العالية ـ أنه لا يطلب منصباً، ولو طلبه لطلبه ممن يعتقد أن في يده الحل والربط وهو أضيفت اليه وظيفة تدريس الحديث في الخانقاه الشيخونية بعد أن خلت بوفاة الشيخ فخر الدين المقسمي سنة سبع وسبعين وثمانمائة.

أسندت اليه مشيخة الخانقاه البيبرسية أكبر الخانقات وأغناها في القطر المصري عوضاً عن الشيخ جلال الدين البكري سنة احدى وتسعين وثمانمائة، ومنها اعتزل المناصب الرسمية بعد حين وخطوب.

ويقول ابن أياس أن الخليفة السيد عبد العزيز هو الذي اختاره لمشيخة هذه الخانقاه وزكاه حتى صدر له المرسوم بذلك.

وكون الخليفة يسعى له دليل على ما بلغه السيوطي في نفس الخلفاء من إكبار.

وقد ظل هذا الاكبار ينمو حتى عهد هذا الخليفة للسيوطي في سنة اثنتين وتسعمائة بوظيفة لم يسمع بمثلها قط، وهي أنه جعله على جميع القضاة قاضياً كبيراً يولي منهم من يشاء ويعزل منهم من يشاء، مطلقاً في سائر ممالك الاسلام. وهذه الوظيفة لم يلها قط سوى القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز في دولة بني أيوب.

## ٤٦ ـ منزلة السيوطي لدى الخلفاء والسلاطين :

أما منزلة السيوطي لـدى السلاطين والخلفـاء فهي منزلـة عظيمـة أشهر من أن تنكر.

وقد أشار في كتابه حسن المحاضرة إلى ما بلغه من مكانة في نفس الخليفة المتوكل على اللّه قال: وهو الآن عين بني العباس وثامنهم، لم يزل مشاراً اليه محبوباً في صدور الناس وله اشتغال على يد والدي وغيره من المشايخ وأجاز له باستدعائي جمـاعة من المستنـدين وقد خرجت له عنهم جزءاً حدث به وألفت برسمه كتاب الأساس في فضل بني العباس وكتاب دفع الباس عن بني العباس[1]. وقد أشرت سابقاً الى أن المتـوكل عهـد للسيوطي بـوظيفة لم تعـرف قبله، وقـد لقب السيوطي المتوكل بلقب لم يعهد من قبل وهو المستمسـك بالله أبـو الصبر.

وكان للسلاطين فيه اعتقاد حسن ـ عدا طومان باي ـ وكان الأمراء والأغنياء يقصدونه بالزيارة بعد انقطاعه عن التدريس وكـانوا يهـدون اليه فيرد هداياهم. قال ابن العماد، كان الأمراء والأغنياء يأتون لزيارته ويعرضون عليه الأموال النفيسة فيردهـا وأهدى اليـه الغوري خصيـاً وألف دينار فرد الألف وأخذ الخصي فأعتقه وجعله خادماً في الحجرة النبوية وقال لقاصد السلطان لا تعد تأتينا بهدية قط فإن اللّه أغنانا عن مثل ذلك وطلبه السلطان مراراً فلم يحضر اليه[2].

---

(١) حسن المحاضرة، جـ ٢، ص ٦٥.

(٢) شذرات الذهب، جـ ٨، ص ٥١.

# ثبت المراجع

## حرف الهمزة:


١ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.
٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.
٣ ـ النور السافر من أخبار القرن العاشر.
٤ ـ الضوء اللامع.
٥ ـ أعلام النساء.
٦ ـ النهاية لابن الأثير.
٧ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور.
٨ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة.
٩ ـ الاصابة في تمييز الصحابة.
١٠ ـ الملل والنحل للشهرستاني.
١١ ـ اللباب.
١٢ ـ العبر في تاريخ من غبر.
١٣ ـ البداية والنهاية لابن كثير.
١٤ ـ الرسالة المستطرفة للكتاني.
١٥ ـ المقفى.
١٦ ـ النجوم الزاهرة.
١٧ ـ ارشاد الأريب.

١٨ ـ الأنس الجليل.
١٩ ـ المنتظم.
٢٠ ـ الأنساب.
٢١ ـ الفهرس لابن النديم

## حرف الباء:

٢٢ ـ بدائع الزهور.

## حرف التاء:

تبيين كذب المفتري.
٢٤ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر.
٢٥ ـ تاريخ قزوين للرافعي.
٢٦ ـ تهذيب الاسماء واللغات للنووي.
٢٧ ـ ترتيب المدارك.
٢٨ ـ تذكرة الحفاظ.
٢٩ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.

## حرف الجيم:

٣٠ ـ جمع الجوامع في السنة للسيوطي.
٣١ ـ جلال الدين السيوطي بحث الدكتور عبد الحكيم السيد.
٣٢ ـ جلال الدين السيوطي محمد عبد المنعم خاطر.

## حرف الحاء:

٣٣ ـ حسن المحاضرة للسيوطي.

٣٤ ـ حاشية ابن الطيب على القاموس.
٣٥ ـ حلبة الأولياء لأبي نعيم.
٣٦ ـ حول سورة الفاتحة للسيوطي.
٣٧ ـ حصول الرفق بأصول الرزق.

## حرف الخاء:

٣٨ ـ خلاصة تذهيب الكمال للخزرجي.

## حرف الدال:

٣٩ ـ درة الجمال في أسماء الرجال.
٤٠ ـ دائرة المعارف الإسلامية.

## حرف الذال:

٤١ ـ ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي.

## حرف السين:

٤٢ ـ سنن الترمذي.
٤٣ ـ سنن أبي داود.
٤٤ ـ ـ سنن ابن ماجة.
٤٥ ـ سنن الدارمي.

## حرف الشين

٤٦ ـ شذرات الذهب.

## حرف الصاد:

٤٧ ـ صحيح البخاري.

٤٨ ـ صحيح مسلم .
٤٩ ـ صفوة الصفوة .

## حرف الطاء :

٥٠ ـ طبقات المفسرين للداودي .
٥١ ـ طبقات النحاة .
٥٢ ـ طبقات الشيرازي .
٥٣ ـ طبقات الحفاظ للسيوطي .
٥٤ ـ طبقات ابن سعد .

## حرف الفاء :

٥٥ ـ فيض القدير .

## حرف الكاف :

٥٦ ـ كتاب الإتقان في علوم القرآن .
٥٧ ـ كتاب الحافظ السيوطي عبد الحميد فرغلي .

## حرف اللام :

٥٨ ـ لسان الميزان .

## حرف الميم :

٥٩ ـ معجم الأدباء لياقوت .
٦٠ ـ مقدمة ابن خلدون .
٦١ ـ مرآة الجنان لليافعي .
٦٢ ـ مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة .

٦٣ ـ مجلة منبر الاسلام جمادي الآخرة سنة ١٤٠٧ هـ.
٦٤ ـ مفتاح الجنة للسيوطي.
٦٥ ـ معجم البلدان لياقوت.
٦٦ ـ موطأ مالك.
٦٧ ـ ميزان الاعتدال.
٦٨ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل.

## حرف النون:

٦٩ ـ نكت الهميان لابن الصفدي.

## حرف الهاء:

٧٠ ـ هدية العارفين.

تم فهرس المراجع بحمد اللّه
تعالى وأصلي واسلم على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

# فهرس الكتاب


١ ـ نسبه وبيئته . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ٥
٢ ـ والد السيوطي . . . . . . . . . . . . . . . . . ٧
٣ ـ مولد السيوطي . . . . . . . . . . . . . . . . . ٨
٤ ـ رحلات السيوطي العلمية . . . . . . . . . . . . ٩
٥ ـ شيوخه . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ١٥
٦ ـ تلاميذ السيوطي . . . . . . . . . . . . . . . . ١٧
٧ ـ مؤلفات السيوطي . . . . . . . . . . . . . . . ٢٠
٨ ـ أسباب تأليف كتاب الإتقان في علوم القرآن . . . . . . . . ٢٤
٩ ـ منهج الإتقان في علوم القرآن . . . . . . . . . . . ٢٨
١٠ ـ كتاب تاريخ الخلفاء . . . . . . . . . . . . . . ٣٨
١١ ـ فصل في مدة الخلافة في الإسلام . . . . . . . . . . ٤٣
١٢ ـ فصل في بيان أن الأئمة من قريش، والخلافة بينهم . . ٤٧
١٣ ـ فصل في بيان كونه ـ صلى الله عليه وسلم ـ
ذلك لم يستخلف، وسر . . . . . . . . . . . . ٤٨
١٤ ـ كتاب الدر المنثور في التفسير بالمأثور . . . . . . . . . ٥٠
١٥ ـ أسباب تأليف الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة . . . ٥١
١٦ ـ مفهوم التفسير والتأويل . . . . . . . . . . . . . ٥٢
١٧ ـ فصل في حصول الرفق بأصول الرزق . . . . . . . . . ٥٥
١٨ ـ حسن التوكل يزيد في الرزق . . . . . . . . . . . . ٥٩

١٩ ـ فصل في الاجتهاد من فرض الكفايات ........ ٦١
٢٠ ـ حول سورة الفاتحة ........ ٦٣
٢١ ـ دعاء ختم القرآن ........ ٧٢
٢٢ ـ ثانياً: الحديث ومتعلقاته ........ ٧٣
٢٣ ـ ذيل طبقات الحفاظ ........ ٧٤
٢٤ ـ جمع الجوامع في السنة ........ ٧٩
٢٥ ـ كتاب مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ........ ٨٧
٢٦ ـ موضوعات الكتاب ........ ٩٠
٢٧ ـ ثالثاً: علوم اللغة ........ ١٠٢
٢٨ ـ جمع الجوامع في النحو ........ ١٠٤
٢٩ ـ كتاب المزهر في علوم اللغة وأنواعها ........ ١٠٥
٣٠ ـ من طرائف الأخبار ........ ١١١
٣١ ـ أفصح العرب ........ ١١٢
٣٢ ـ خصائص اللغة ........ ١١٣
٣٣ ـ آداب اللغوي ........ ١١٩
٣٤ ـ السيوطي دائرة معارف ........ ١٢٢
٣٥ ـ الأزهار الغضة في حواشي الروضة ........ ١٢٢
٣٦ ـ مؤلفات التصوف ........ ١٢٩
٣٧ ـ السيوطي الأديب ........ ١٣٢
٣٨ ـ اجتهاده ........ ١٣٩
٣٩ ـ عصر السيوطي ........ ١٤٣
٤٠ ـ ثورة الخانقاة ........ ١٤٤
٤١ ـ الخانقاة البيبرسية ........ ١٤٦

٤٢ ـ احتساب السيوطي ومدافعة الله عنه . . . . . . . . . . . ١٤٧
٤٣ ـ عزوف السيوطي عن المناصب . . . . . . . . . . . . . ١٤٩
٤٤ ـ جدال يثير الحفائظ . . . . . . . . . . . . . . . . . ١٥٣
٤٥ ـ اعتراض وامتحان . . . . . . . . . . . . . . . . . ١٥٥
٤٦ ـ منزلة السيوطي لدى الخلفاء والسلاطين . . . . . . . . . . ١٥٧